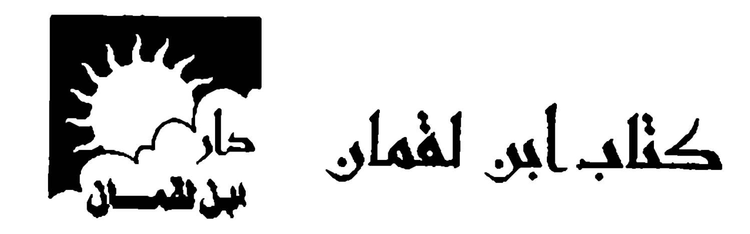

بطولات مصرية حقيقية
لواء أ.ج.م أورهان حماده
مقاتل يغازل الموت





قصة حقيقية من واقع حرب أكتوبر

بقلم

لواء أركان حرب.م

أورهان حسين حمادة

دار ابن لقمان

•• سلسلة بطولات خارقة

•• عن دار ابن لقمان

مسؤولو التحرير: حسن البدوى. عماد الدين عيسى. نبيل خالد.

•• اسم الكتاب: مقاتل يغازل الموت

•• بقلم: أورهان حسين حمادة

•• تليفون - ٠١٢/٣٧٤٠٥٦٧ - ٠٥٠/٣٦٩٥٨٨.

•• رقم الإيداع: ٢٠٠٠/١٠٢٧٧

•• تصميم الغلاف: م/ علاء فتحى عجوة

مكتب يارا للإعلام العربى - المنصورة

٢٢ ش الشهيد المعتز بالله أمام كلية الآدب: ٠٥٠/٣٦٩٥٨٨

مطبعة جزيرة الورد. المنصورة - نوسا البحر: ٠٥٠/٤٤١١٩١

•• جمع كمبيوتر: محمد فرج عبد الله سعد

•• المراجعة/ السيد الخيارى

•• مونتاج: أ/ عبد الخالق عبد النبى

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة التحرير

« أدب الحرب .. أم أدب قدوة »

ما كان هذا قط بالكتاب العادى الذى ينصرف عنه القارىء بعد تناوله . . بل إنه حقاً لوثيقة هامة وتسجيل مشرف قد أزجيناه إلى شباب الحاضر وشاباته، وآباء المستقبل وأمهاته .

إن عليهم جميعا أن يتناقلوها، من جيل إلى جيل، من أجل خلق جيل المستقبل، ذلك الذى تنتظره مصر، والذى يتخذ من بطولات من سبقوه من المصريين القدوة المحتذاة على المدى! هذا وقد سطر هذا الكتاب الذى تراه بين يديك، محارب له بطولات فى الحروب مشهودة . ولهذا لم

يكن من الغريب على مؤلفه **اللواء أركان حرب م/ أورهان حسين حمادة** أن يخوض غمار "أدب الحرب" ليروى لنا ، وبدرجة تشويق عالية أخاذة، التى عرفت عن بعض المجاهدين ، كما أنه قد بسط الحديث فى سجله هذا بأسلوب سلس سهل يستوعبه المدنيون قبل العسكريين. .

لقد اتسم هذا العمل الرائع بنمط الأعمال العالمية فى مجال أدب الحرب... تلك الأعمال التى تناقش صور البطولات فى شتى جوانبها، كذلك تتعرض للسلبيات الواجب التخلص منها،كما أنها تتصدى لدواعى الإخفاق، وأسباب النجاح ، وتكشف النقاب عن الصعوبات والعقبات،التى جابهها هؤلاء الأبطال، وأعانهم الله وحده على تذليلها. ألا فليعلم كل إنسان أن الحرب ليست نزهة بلا مصاعب ، بل إنها مصاعب حلولها ليست سهلة.

لقد كان اللقاء باللواء أ ح م / أورهان حسين حمادة لنطلب منه أن يسجل لنا صوراً من بطولات أبناء مصر من

المقاتلين الشرفاء الأوفياء ولكن لتصدر ذلك تحت سلسلة أخرى ومُسمًّى آخر هو «**أبطال الإسلام**»، فى الماضى، وفى الحاضر»، لتكون نبراسًا يستضىء به شباب اليوم وهم أمل الأمة فى مستقبل أيامها، فهالنا ما فوجئنا به من قبل السيد اللواء... إذ راح يُخرج من درج مكتبه هذا العمل الرائع!.. وقال: إن ما دعاه إلى تسطير هذه القصة وحفزه إلى عرضها، حكاية طريفة كان يرجو أن يعيها الشباب .. **فقد كان السيد اللواء قد التقى ذات يوم بأحد الشباب،وفى حوار معه تبين عدم إلمامه بما كان قد دار فى حرب أكتوبر، ولم يكن لديه التصور الحقيقى عما كان قد دار فى ساحات القتال، فكان شأنه فى ذلك شأن كثير غيره من أبناء هذه الأيام** .. مما حفز لديه الهمة إلى تسطير الحقائق، حتى يستبين من كانت له أدنى معرفة بأهوال الحروب.. وتكون القدوة على مر الأيام.. فكان نقاشاً حاراً وجميلاً دار بيننا و خرجنا منه بأن علينا أن ننشىء سلسلة جديدة هى

«بطولات خارقة» تهدف إلى تجلية البطولات التى يجب أن نعرفها، كما يجب ألا تغيب عن أذهان هذا الجيل. . وإنّ من الصدف الجميلة أن يكون المؤلف مقاتلا قد خاض الحروب كما كان الناشران من المقاتلين الذين خاضوا غمار تلك الحروب واكتووا بلظاها فكان هذا الصدق فى قلم المؤلف والحماس فى قَلْبَىْ الناشَرين ليخرج هذا الكتاب بهذه الصورة المشرفة. وقد راعينا أن يكون الثمن زهيداً وفى متناول الجميع ليناسب الشباب فهم أمل مصر وعُدّتها فى التقدم والنهضة بإذن الله.

ونحن ننتهز هذه الفرصة ونتوجه إلى السيد وزير الدفاع لنشكره على تفضله بالموافقة على نشر هذا الكتاب المتفرد،كما أننا نلتمس من سيادته أن يتفضل بتقديم التسهيلات لاستمرار هذه السلسلة؛فنخلد فيها بطولات زملائنا أبطال القوات المسلحة من خلال نشرها على نطاق واسع، وأن نسهم بتقديم القدوة الحسنة لأجيال المستقبل من

خلال دار ابن لقمان للنشر والتوزيع. كما نتوجه للأصدقاء والصديقات ونطلب منهم أن يرسلوا برقية عرفان بالجميل باسم أبطال كل قصة لارسالها إلى أسرهم وأن تتضمن البرقية أو كارت التهنئة زهرة لهم **وأن ترسل باسم السيد القائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع والإنتاج الحربى نيابة عن كل الأبطال**؛ فهذا أقل تعبير يمكن أن نقدمه لأبطال النصر. تحية لهم، وعرفانا بما شرفونا به ورفعوا قدر مصر والعروبة بين الأمم .

عن دار ابن لقمان

مسئولو التحرير:

حسن البدوى ـ نبيل خالد ـ عماد الدين عيسى

❁❁❁❁❁



أخى القارىء العزيز ...

هذه قصة حقيقية من واقع حرب أكتوبر اضطررت إلى كتابتها وما أنا بكاتب أو مؤلف، ولكننى مقاتل سابق وإن ما دفعنى لكتابة هذه القصة هو أننى لم أجد مؤلفًا أو كاتبًا كتب شيئًا يليق بحرب أكتوبر العظيمة . . . وأمام تبرُمى وما قد شعرت به من إحباط حيال هذا التجاهل أو الجهل بحقيقة أحداث هذه الحرب العظيمة **فقد اضطررت لكتابة هذه القصة. وقد شجعنى على ذلك قربى من شخصية بطل هذه القصة وإمكان تسجيل حوادث القصة بسؤاله هو أو سؤال المقاتلين الذين قد شاركوا معه ونالوا شرف القتال. .** وبالطبع فقد استبعدت كثيراً من الحوادث وأسماء الأماكن أللّهُمَّ إلا في حالة الضرورة القصوى. . . كما غيرت فى بعض الأسماء عن عمد . . . وأغفلت بعض الأسماء . . .

وأشرت إلى وظائفهم وقد ذكرت أعمال القتال وحالات النجاح والإخفاق بصراحة تامة وأمانة مُتَوَخَّاة مؤكدا على أن معرفة الحقيقة هى الأساس الواقعى للتعليم والتطوير واكتساب الخبرات، التى تفيدنا فى المستقبل وقد أشرنا فى قصتى هذه إلى عدة بطولات قد أنجزت على أيدى مقاتلين من عدة تخصصات: من المشاة ورجال الدبابات والصاعقة والقوات الجوية.. إلخ... بعضهم أعرفهم بالاسم والبعض الآخر أعرفهم بأفعالهم .. **إن حرب أكتوبر لا نستطيع إسناد فضلها فقط لهؤلاء القادة العظام الذين اتخذوا القرار بالحرب وعلى رأسهم الزعيم الراحل أنور السادات بل إن الفضل الأكبر للنصر وما تحقق من انجاز رائع فى هذه المعركة انما يُعزى حقا لهؤلاء المقاتلين المغمورين الذين ضحوا بحياتهم وسعادتهم من أجل وطنهم**... إلى هؤلاء الشباب المصريين من الفلاحين والعمال والموظفين وأولاد الذوات مسلمين ومسيحين .. إن نتيجة حرب أكتوب وثمرتها ما هى إلا نتاج كل جهود

هؤلاء وتضحياتهم . . . هؤلاء البسطاء الذين عانوا الكثير والكثير! إنك أيها القارىء العزيز إذا ما قرأت الآن القصص عن بطولات هؤلاء البسطاء وعن تضحيتهم لما استطعت أن تلم بحجم التضحية الفعلى. . . إلا لو كنت قد شاركت فى تجربة الحرب بشكل كامل . . . فإنك لن تستطيع إدراك! مامعنى« أن تكون مهددًا بفقد حياتك لبضعة أيام متتالية أو لبضعة أشهر؟» . . ففى كل لحظة بل فى كل دقيقة و فى كل ثانية . . لانوم . . لا راحة لا وقت للنظافة. . . بل لا وقت للطعام أحيانا. . .

يتنازعك شعور متباين ما بين حبك لوطنك وبين حبك لذاتك ومصلحتك الخاصة... وماذا سوف يحدث لو فقدت حياتك؟ ترى من سيعول أولادك أو أمك ومن سيعول إخوتك؟...وبالرغم من هذا كله فالكل يقاتل والكل يضحى. . . وأخيراً فإننى أُهدى هذه القصة لشباب مصر أولاد المحاربين القدامى الشهداء منهم والأحياء للوقوف على مغزى بطولة آبائهم وإخوتهم وللوقوف على

حجم تضحياتهم.. وقد صورتها لهم جميعا باسم «تصرفات عصمت». فلعل الله يوفقنى فى نقل هذه الرسالة التى أهدف إليها من وراءهذه القصة والتى تتلخص فى أن الحرب شيء كريه صعب، ولكن هناك أحيانًا ضرورة تحتم ذلك وأن قوة الوطن وعظمته ترتبطان حقا بالشباب وإن **علينا نحن إعداد أولادنا منذ الصغر،وتوطينهم على فهم معنى أن يكونوا رجلاً يتحملون الصعاب،وأن يكونوا كذلك قادرين على التضحية.وأن "كل إنجاز" يجب أن يسبقه عمليات تخطيط وتنظيم جيد كذلك،وعمليات تنسيق وإشراف مستمرة وتقييم حقيقى أمين لنقاط قوتنا وضعفنا وذلك ضمانا لتحسين الأداء فى المستقبل.**

وأخيراً فلنحسن اختيار الرجال المناسبين وأن نعمل على وضعهم فى الأماكن المناسبة لهم فنجنى من جميل جهودهم أطيب الثمار.

حفظ الله لنا مصرنا الحبيبة الغالية وجعلها درة بلاد العالم

المؤلف



الفصل الأول

أف!!.. زفرة انطلقت وقد جلس الفتى ذو الأربعة والعشرين ربيعا والذى يدعى«عصمت» متأهباً فى دبابته لمدة خمس ساعات على أحر من الجمر. منتظراً الأمر بالعبور من ذلك المعبر الجارى إنشاؤه في مكان قريب منه.

وقد أخفى دبابته عن طائرات العدو تحت شجرة ضخمة وظن أن فروعها قد انحنت كى تخفيه عن الأنظار.

وقد أخذ يضرب ذبابة كانت تداعبه فضربها بالبيرق للمرة الثالثة بقوة مودعاً بهذه الضربة كل ما يملك من قوة وكل ما يشعر به من ضيق وإحباط. وفجأة انتبه على صوت القذف المستمر لطائرات العدو بذخائر حديثة لم تعرف من قبل ورغم ذلك فرجال الدفاع الجوى يطلقون ألسنة نيرانهم بصفة مستمرة فى صورة خطوط نيرانية مائلة فى إتجاه

الطائرات المغيرة وذلك لحماية أعمال رجال سلاح المهندسين الأبطال، وتغطيتهم فى محاولاتهم المستميتة فى إنشاء كوبرى للعبور. أما رجال المدرعات أصحاب المهمات الصعبة، وصاحب القصة وهو واحد منهم فقد جلسوا يتململون وكأنهم جالسون على أحر من الجمر فى انتظار اللحاق بإخوانهم من رجال المشاة الذين بدؤا العبور منذ حوالى خمس ساعات مستخدمين القوارب المطاطية والوسائل المبتكرة حاملين أسلحتهم الخفيفة وصواريخهم الصغيرة المضادة للدبابات . **مخترقين بشجاعة فائقة تحصينات «خط بارليف» ذلك الحاجز الوهمى الشهير فى أعمال قتالية متتالية مندفعين إلى عمق النقط الحصينة لسرعة اكتساب أرض جديدة وتجهيزها لإستقبال الهجمات المضادة للعدو متعطشين إلى انضمام الدبابات إليهم لمعاونتهم فى معركة** الهجمات المضادة، تلك المعركة التى ستكون نقطة التوازن فى اليوم الأول للقتال. . بل ستكون بداية المرحلة الحاسمة

فى أعمال القتال القادمة. وكانت صورة أرض المعركة غاية فى الروعة والعجب فهناك نيران من الأرض إلى السماء ... ونيران من السماء للأرض...ونيران من الأرض للأرض... وانفجارات فى كل مكان.

وتتصاعد أعمدة اللهب من بين الدخان فى كل مكان، وصوت الرجال يدوى بزئير الأوامر العسكرية الصادرة بسرعة فتح النيران وإبطالها ... أو بتحريك مدفع لمربض تبادلى... أو بطلب الإسعاف.... أو صفارات تنذر بهجوم طائرات العدو. كل هذا لم يكن ليشعر هذا الفتى بالقلق لأنه تأقلم على مثل هذه الأجواء... فبدا وقد غمره إحساس للحظات أنه يشاهد أحد الأفلام الأمريكية المثيرة... ولكن جم قلقه إنما كان فى تأخر دوره فى العبور كثيرًا وهو يعلم علم اليقين أن هناك من هو فى احتياج شديد إليه وإلى مجهوداته ونيران دباباته الثلاث. بدلاً من إضاعة الوقت والجهد فى إصطياد تلك الذبابة اللعينة...

انتباه.. جميع المحطات .... سيتم الآن العبور بالتسلسل المتفق عليه أولا يتم عبور«محمود»و«عصمت». يجب استخدام أقصى قدرة لدباباتكم فى العبور حيث إن سلاح المهندسين قد قام بإنشاء الممر على عجل . محمود، اتجه الآن نحو المعبر.. **عصمت؛ إحتل الساتر الترابى لتغطية عبور محمود كان الله معكما** «انتهى» تلك كانت كلمات الإشارة اللاسلكية التى وصلت إلى عصمت من قائده .. ومنذ تلك اللحظة جرت الدماء فى عروق عصمت وبدأ عقله يفكر فى هذه الإشارة وقد استخلص منها أنه كم كانت هناك صعوبات كبيرة فى إنشاء الكوبرى فى الوقت المحدد له وكذلك الصعوبات الفنية، هذا إلى جانب وجود قتال أرض جو(١) فى منطقة إنشاء المعبر أيضا؛ **فإن المشاة قد أصبحوا فى حاجة ماسة للدبابات خاصة وأنهم يقاتلون بدون معاونة الدبابات منذ أكثر من**

(١) الشبة إلى هذا التركيب المزجى هى أرض ـ جوى أو أرضجوى..

ثمانى ساعات. وقد تأكد أنهم سيجدون صعوبة كبيرة فى الصعود فوق الساتر الترابى لعدم إستكمال أعمال المهندسين فى فتح ثغرة فيه ولكن كل هذا لا يهم . . . إبتسم وتنهد ولسان حاله يقول: حان وقت العمل. . وتنفس الصعداء. . هكذا تمتم وقد بدأ فى توجيه السائق إلى المكان المناسب على الساتر الترابى من الضفة الغربية ذلك الساتر الذي يصلح لحماية، وتغطية الدبابة الأولى التى ستقوم بالعبور. **وتحركت دبابته بسرعة فائقة فخلفت من ورائها عاصفة من الغبار وفى نفس الوقت تحركت دبابة محمود إلى الكوبرى حيث هبطت عند حافة القناة وأخذت تتقدم ببطء إلى أن وصلت إلى أول برطوم من الكوبرى[1]** حيث أبطأت الدبابة من سرعتها وفجأة دوى صوت فى السماء فنظر عصمت فوجد طائرة ميج ١٧ مسرعة بعبور القناة بعد أن

---

(١) البُرْطوم ج براطيم: واحد صناديق بشكل مكعبات، أو متوازيات مستطيلات، مفرغة من الهواء، ليسهل طفوها فوق الماء. . وتستغل كمعابر وكبارى سريعة التحضير.

قامت بضرب الأهداف المخصصة لها شرق القناة وخلفها طائرة فانتوم ٤ إسرائيلية تحاول إسقاطها من الخلف لقد كان المنظر يبدو كنسر كبير يحاول الإنقضاض على عصفورة صغيرة .. **تعجب عصمت لهذا المنظر الغريب وأخذ يفكر في الطيار المصرى وموقفه العصيب لقد كان الفاصل الزمنى بين صناعة الفانتوم ٤ والميج ١٧ هو ما يعادل ربع قرن من الزمان وفجأة لاحظ أن الطيار المصرى قد ناور مناورة حادة لأسفل فى شكل هبوط مفاجىء على دبابة مصرية مضادة للطائرات ذات أربع مواسير وبالطبع هبطت الطائرة الإسرائيلية خلفه.** لقد أدرك عصمت المقصود بهذه المناورة الماهرة فالطيار المصرى يريد معاونة الدبابة ذات الأربع المواسير فى إسقاط الفانتوم فعمل على إدخالها فى المدى المؤثر لمدافعها الأربعة. وفعلا فتحت الدبابة المضادة للطائرات نيرانها بسرعة فائقة بعد أن ميزت[1] الطائرة

(١) التمييز التحديد والاستبانة والتعرف..

المعادية فحاصرت خطوط النيران الطائرة المعادية وحاولت الطائرة الإسرائيلية الإرتفاع لأعلى بسرعة بعد وقوعها فى هذا الكمين العجيب الذى دفعت إليه دفعا. ولكن تمت إصابتها بسرعة فائقة فى مخزن الوقود وانفجرت على الفور إنفجارا مروعا مخلفة شظايا هائلة خاصة وأن الطائرة قد كانت على إرتفاع منخفض من سطح الأرض. ابتسم عصمت لهذه النتيجة ولذكاء هذا الطيار وسأل نفسه كيف تأتّى لهذا الطيار أن ينجو بنفسه إن لم يجد هذا العون.

وسارت دبابة محمود وأخذت تتحرك ببطء تاركة الكوبرى وأخذ محمود يتحرك أمام دبابته مؤشراً[1] لها بيده فى حركات وإشارات معروفة بينه وبين السائق كل هذا كان تحت مراقبة عصمت من الضفة الغربية للقناة الذى وضع نظارة ميدان على عينه وأخذ يراقب عملية تقدم وتسلق دبابة محمود للساتر الترابى. لقد لاحظ عصمت بأن الدبابة

---

(١) يصدر اشارات متفق عليها عسكريا ابان الحروب.

تتقدم ببطء شديد وأنها تخلف من ورائها ستارة هائلة من الدخان الذي يدل على إجهاد ماكينة الدبابة و على أن الممر بالساتر الترابى غير ممهد تماما وأن جهد الدبابة غير كاف مع زاوية ميل الممر. وقد أكد ذلك توقف الدبابة أكثر من مرة. . وفجأة وبوصول الدبابة إلى منتصف الممر توقفت ثم **إنزلقت للخلف بسرعة تاركة الممر ثم سقطت بسرعة عجيبة إلى قناة السويس وهكذا فقد فقدت أول دبابة فى محاولة العبور**. . تحرك عصمت إلى نقطة التحميل وأخذ يوشر لدبابته حتى نجح فى إركابها البرطوم ثم ركب دبابته وأمر السائق بالتحرك ببطء أيضا ولكن فجأة . . . . اهتز البرطوم بشدة مؤرجحا الدبابة التى كانت تربضن من فوقه مع صوت انفجار مروع قريب من الماء حيث تطاير رذاذ الماء بشدة فى جميع الإتجاهات مبللا وجه عصمت الراكب بأعلى فتحة دبابته وهو كالنمر اليقظ. . حرك رأسه بسرعة ليعرف سبب هذا الانفجار المروع حيث توقف[1] نظره على دبابتين إسرائيليتين محتلتين للساتر الترابى الشرقى للقناة

(١) المراد تركز. .

وعلى مسافة ثلثمائة متر. وكان معنى وصول الدبابتين لهذا المكان أنهما قد نجحتا فى إختراق خطوط أبطالنا المشاة وأنهما كانتا تحاولان تعطيل عبور معداتنا وأسلحتنا الثقيلة بضرب البراطيم التى يشكل منها الكوبرى. لقد كان عصمت فى موقف لا يحسد عليه لأنه لا يستطيع الإشتباك مع هاتين الدبابتين لأنه لو أطلق قذيفة واحدة من دبابته فإنها سوف تنزلق من فوق البرطوم إلى قاع الماء بتأثير رد فعل الرمى. لم يكن حل هذا الموقف بيده وذلك هو الشيء العصيب وانتظر الطلقة الثانية فإنّ فيها الشهادة له ولطاقمه ولكنها لم تطلق!!!!

فتعجب ووضع نظارة ميدان على عينيه ليتبين الموقف لقد وجد أبطالنا المشاة وقد اعتلوا دبابات العدو فاتحين فتحاتها "ينغزون[1]" أطقم دبابات العدو بالسناكى.وقد سيطروا على الموقف تماما بل إنهم قد راحوا يلوحون له ببنادقهم بعلامة النصر التى تدل على أنهم قد نفذوا المهمة

---

(١) المراد ينغزون.. من الوخذ. يطعنون.

تماما وأن عليه أن يستكمل عبوره فى سلام آمن. ولكن ما كان يجول بخاطر عصمت هو أنه كيف لم تستطع دبابة العدو أن تصيبه وهو على مسافة قصيرة جدا رغم أنها كانت مزودة بمقياس مسافة يعمل بأشعة الليزر . وأخيرا وصل إلى الضفة الشرقية وأخذ أفراد المهندسين العسكريين يلوحون له بإتجاه الممر حيث قفز عصمت من فوق دبابته إلى أرض الشاطىء وأشار للسائق بالتحرك ببطء تاركا البرطوم[1] . . . وتحركت الدبابة بحذر من فوق البرطوم إلى الساتر الترابى وهنا أشار عصمت إلى السائق بالتوقف! لقد قرر أن يقود الصراع بنفسه بين الدبابة وعوائق الأرض.

ركب عصمت الدبابة جالساً على كرسى السائق وأمر سائقه أن يساعده بأن يقف أمام الدبابة ويؤشر[2] له فى

---

(١) البراطيم ـ مفردها برطوم: صناديق مكعبات أو متوازيات مستطيلات، مفرغة من الهواء ليسهل طفوها على الماء، كانت تستغل في عمل معابر وكبار. المصحح

(٢) يؤشر: يعطى اشارات متفقا عليها. .

الإتجاهات التى تصلح له فى التحرك ووضع عصا السرعة على الترس الأول وبدأ يتحرك ببطء صاعداً للساتر الترابى وأخذ يضغط على دواسة الوقود لأقصى حد ممكن لكى تزداد قوة الدبابة للصعود لقد كان يشعر بأن ماكينة الدبابة تئن وكثيرا ما كان يشعر أن جنزير الدبابة يدور منزلقا على الأرض بدون حركة حقيقية للدبابة[١] وكان ذلك ناتجا عن الميل الحاد للأرض، راجعا إلى طبيعة التربة المتكونة من الرمال والمياه المغمور بها الممر. لقد كانت قدماه فى ضغطه على دواسة الوقود حساسة للغاية فبالرغم من أنه كان كثيرا ما يضغط لأقصى حد إلاّ أنه كثيراً ما كان يخفض الضغط فجأة لقد كان الحكم له هو صوت ماكينة الدبابة. وفجأة توقفت الدبابة تماما وأحس بخبرته أن تحريكاً جديدا سوف يجعل الدبابة تنزلق إلى أسفل بجوار الدبابة الغارقة. إن عليه الآن أن يقرر قراراً جديداً للتغلب على هذه المشكلة

(١) أى فى الفراغ.

فإن أقصى جهد حصل عليه من ماكينة الدبابة قد تم باختياره للسرعة الأولى وأنه يجب أن يضيف جهدا جديدا تدريجيا للدبابة وأنه سيأخذ هذا الجهد بجذب عصا القيادة للمنتصف، إن ذلك الجهد الخارج من أجهزة نقل الحركة قد يساعد الدبابة على التحرك والصعود ولكنه فى نفس الوقت قد يدمر ماكينة الدبابة تماما! ولم لا !!!

فتدمير ماكينة الدبابة أفضل من فقد الدبابة بالكامل وعليه أن يجرب وليس أمامه خيار . . . . أخذ يحرك عصا القيادة للخلف ببطء وببراعة فائقة بضغطه على دواسة الوقود ببطء كذلك. . مع الإصغاء التام لصوت المحرك للتحقق من ذلك الأمر. . . وبدأت الدبابة فى التحرك ببطء صاعدة لأعلى. . . إلى أن وصل للقمة ثم أخذ يهبط مرة أخرى إلى الجانب الآخر من الساتر الترابى وهو يشعر بشعور غامر بالرضى والتوفيق ثم ضغط على ريشة جهاز اللاسلكى مبلغا بأنه قد تم عبوره وبأن على جميع الدبابات إستقبال إرشاداته وخبرته للعبور والتى سوف يلقيها مختتما

إرشاداته بكلمة «ألله أكبر» واندفع بدبابته داخل سيناء كالأسد الجائع الباحث عن فريسته وأخذ يتقدم بسرعة عالية لقد كانت الأوامر الصريحة له ببساطة هى أن يتقدم ويدعم المشاة على الخط الأول... إذن فعليه الآن أن يبحث عن المشاة ويحدد مكانهم بدقة ثم ينضم إليهم بعد إختيار الأماكن المناسبة لدبابته للمراقبة والرمى. وأخذ يجول بنظره متفحصا فى كل إتجاه باحثا عن أى فرد من المشاة فلم يجد وبين الحين والحين كان يسأل سائق دبابته عن المسافة التى قطعت فيبلغه السائق خمسمائة متر... كيلو متران... كيلو متران وثمانمئة .. وفجأة لاحظ تحرك شىء غامض صغير فى الرمال فأمر سائقه بالتوجه إليه وبوصوله وجد عريفا قائد جماعة مشاة ومعه جندى يتلقى التعليمات منه وهما منبطحان فناداهما عصمت مستفسرا عن مكان وجود قيادتهما وعن وجود أى قوات فى الأمام(١) فأجابه العريف بأن هذا هو الحد الأمامى للدفاع وأشار إلى

---

(١) المراد فى الحَدّ الأمامى من هذه المنطقة.

مركز قيادة المنطقة.

ثم حصر عصمت الدبابات من خلفه والتى تمكنت من العبور فوجدها ١٦ دبابة حيث أخذ يوجهها لإحتلال مرابض النيران على الحد الأمامى للدفاع آمرًا إياهم ببدء الحفر وإجراء أعمال الإخفاء والتمويه وكانت لحظة عظيمة عندما بدأت الدبابات فى احتلال مرابضها الجديدة وخروج أفراد المشاة من خنادقهم الصغيرة المبتكرة حيث كانوا قد أحاطوا برجال الدبابات وأمطروهم بوابل من العناق والقبلات واختلطت دموع الفرح بدموع الفخر. وكان الأمر الغريب حقا أن رجال المشاة الأبطال قد تناسوا حجم المجهود العظيم الذى بذلوه وقاموا بمساعدة رجال الدبابات فى حَفْرِ حُفَرٍ للدبابات دون أن يطلب منهم ذلك، ضاربين بذلك أَروع مَثل للتضحية والفداء. لقد كان هؤلاء الرجال هم أحفاد بناة الأهرام بحق!!.

***

. . . طلقات إشارة حمراء أخذت تنطلق مع صفارة متقطعة . . لقد كانت الإشارة المرسلة من نقطة المراقبة الأمامية والتى تنذر ببدء تحرك العدو واقترابه من الحد الأمامى للدفاع . . وأخذ الجميع يهرولون إلى أماكنهم القتالية فالمشاة قد قفزوا فى حفرهم خلف أسلحتهم وتم اختفاؤهم فى الأرض تماما وأخذوا ينظمون وضع أسلحتهم على المتاريس وتكديس الذخائر أما رجال الدبابات فقد قفزوا إلى دباباتهم متخذين أوضاعهم القتالية. أما عصمت **فقد بدأ يأكل بسكويت علبة تعيين القتال والذى يسمونه فى الجيش «خشب بسكو» لشدة صلابته والذى عادة ما لا يستخدمه أحد الأفراد إلا عندما يكون فى أشد حالات الجوع وكانت هذه فى الحقيقة هى حالته..** ثم رمى الطاقية من فوق رأسه ووضع هلمد الدبابة وهو(غطاء واق للرأس موصل به أجهزة الآتصال) وأوصله بجهاز اللاسلكى وأخذ ينادى دبابته للتأكد من إستعدادها للقتال وأخذت كل دبابة تعطى تمام الاستعداد ؛ الواحدة تلو الأخرى . . وأخيرا

صاح باللاسلكى مداعبا. . يا قادة الدبابات هناك ضيوف أعزاء! أرجو أن تعاملوهم بما يستحقون، وشكراً ، لقد كان دائم التهريج. . حتى فى أشد لحظات حياته حرجا. . أخذت أعمدة الغبار والأتربة تتصاعد فى اتجاه الشرق وعلى مسافة عدة كيلومترات . . وكان ذلك ناتجا طبيعيا من تحرك قوة مدرعة اسرائيلية مشكلة من الدبابات والعربات المدرعة ذات الجنزير لقد كانت الجنازير تأكل فى التربة ثم تقذف بذرات الرمال إلى أعلى وكلما زادت سرعة المركبات ذات الجنزير كلما اشتدت الأتربة إرتفاعا ووضوحا. **لقد كان حجم الغبار كبيرا مما يدل على أن القوة المهاجمة ستكون كبيرة العدد.وأنها مدعمة تدعيما جيدا.** وبعد قليل بدأت تظهر نقط خضراء متحركة وخلفها الغبار لقد كانت النقط الخضراء تسير فى هيئة سلاسل أو كما يسميها المقاتلون "أَرْتال" ثم بدأت الدبابات فى الفتح وتشكيل الأرتال إلى تشكيل القتال الخطى حيث أخذت تواجه قواتنا من مسافة ٦ كيلومترات ثم بدأ الغبار يخف إلى أن

توقف . . . فقد توقفت الدبابات الإسرائيلية تماما. لقد تأكد عصمت الآن أن الدبابات الإسرائيلية قد دخلت مواقع هجومها إستعدادا للهجوم وأنهم كالذئاب الجائعة يوزعون الضحية كما يعتقدون فيما بينهم وهؤلاء على دباباتهم . . . إنهم الآن يحددون أهداف هجومهم وقطاع الآختراق الضيق الذى سيركزون هجومهم عليه أليس ذلك هو أسلوب القتال . . . [١] **إنهم بغبائهم يظنون أن هذا الأسلوب الذى نجحوا فى تطبيقه فى عام ١٩٦٧ سينجحون فى تطبيقه فى عام ١٩٧٣ متناسين أن المقاتلين المصريين قد تعلموا الكثير والكثير بل لقد تعلموا هم منهم**[٢] !!! ولاحظ عصمت أيضا تحرك دبابتين تحركا عرضيا بطول المواجهة على خط الجبهة ولقد استنتج أن بداخل الدبابتين القائد الإسرائيلى وهيئة قيادته إنهم الآن يستطلعون ، ويحددون المكان الذى سيتم اختراقه على الأرض بل إن عصمت قد استطاع

---

(١) كما ظنوا هم ذلك.

(٢) أى تعلم الاسرائيليون.

بسهولة أن يميز المكان الذى سيحاولون اختراقه إنه فى تلك الأرض السهلة المنبسطة بين التباب، والتى ظلت الدبابتان الإسرائيليتان فترة كبيرة من الزمن تراقبانه وتستطلعانه. ذلك المكان الذى توقعه قائده قبل ساعات من أوامر قتاله، ومن أجل ذلك فقد كثف الأسلحة المضادة للدبابات وكذا كان قد احتفظ بإحتياطى قوى لمواجهة هذا الموقف.

لقد شعر عصمت بالفخر والإعتزاز بقائده لأنه تنبأ بما سيحدث تنبؤا دقيقا. بدأت بطاريات المدفعية الإسرائيلية تقذف قواتنا فى شكل تركيز النيران على قطاعات محددة من الأرض وقد ميز عصمت استخدام المدفعية ذات الأعيرة الكبيرة ١٧٥مم والتى يسميها المقاتلون (ياأبو جاموس)[١].

ثم بدأت تظهر على مسافة ٤ كيلو مترات فأقل، تلك الدبابات الإسرائيلية، والتى أمكن تمييزها بأجهزة

(١) (يأبو..) وكان السبب فى هذه التسمية أن الطلقة من هذا النوع يستغرق سيرها فى الفضاء ربع دقيقة أو أكثر نظرا لأنها تطير عدة كيلومترات وعند اختراقها السريع للهواء فإنها تصنع صوتا كصياح الجاموس.. المؤلف

التكبير . . لقد كانت تلك الدبابات تسير بسرعة عالية وبثقة زائدة فى اتجاه قواتنا . . كانت تظن أنها فى نزهة قصيرة . **وفجأة انطلق مقذوفان من جهة قواتنا من تلك المقذوفات الموجهة التى أخذت تطير بحذاء سطح الأرض ثم - فى لحظة - اصطدمت بدبابتين إسرائيليتين حيث أصابتهما فى الحال لقد كان ذلك إعلانا عن بدء أعمال القتال. هلل المشاة المصريون .. اللهأكبر.. الله أكبر! بالرغم من سقوط عشرات القذائف فوق رؤوسهم** عند مشاهدتهم إصابة الدبابتين على هذه المسافة الكبيرة أما الدبابات الإسرائيلية فقد ظهر بوضوح أنها قد قللت من سرعتها بل لقد كانت فى حالة رعب شديد ثم أمر عصمت بفتح نيران الدبابات كُلٌّ طبقا للهدف المخصص له . . وهنا زال الخوف وتبددت الرهبة التى كان يعيش هو فيها فإن أصعب اللحظات فى المعركة ليست فى المعركة نفسها بل فى وقت الإنتظار قبل وقوع المعركة حيث إن المقاتل عادة ما ينشغل فى القتال تلقائيا فهو يحاول تدمير عدوه فى أسرع وقت ويتناسى أن

حياته مهددة.

***

(يمين) ... أبطأ... الهدف دبابة متقدمة... (تميز) ... اضرب... اضرب... تمام يا افندم تمت إصابة الهدف[1].

لقد كانت تلك الأوامر والتعليمات المتداولة داخل دبابة عصمت عند إطلاق مدفع دبابته وارتداده داخل دبابة عصمت عند اطلاق مدفع دبابته وارتداده للخلف وانبعاث الغازات والأتربة وصوت الانفجار المدوى داخل الدبابة. لقد كانت تلك المظاهر فى ظروف التدريب العادية قلقة وتدعو للحذر . فإن وضع أى فرد خطأ فى داخل الدبابة قد يفقده حياته أو طرفا من أطرافه[2]. . . أما الآن وفى ظروف القتال

---

(١) مجموعة من الاصطلاحات يستخدمها أطقم الدبابات باختصار لسرعة العمل داخل الدبابة ـ فاصطلاح (تميز) يعنى أن الرامى قد شاهد الهدف. . . واصطلاح (يمين) يدل على أن القائد قد أصدر أمرا للرامى لإدارة برج الدبابة لليمين وهكذا. . المؤلف

(٢) عضوا. . المصحح.

(٣) غرزية. . النسبة إلى الغريزة.

السريعة والمتغيرة بالتدريب الجيد المسبق فقد أصبحت أطقم الدبابات تعمل بطريقة غريزية عفوية. . . كأنهم يتناولون طعامهم! لقد أصبح رجال الدبابات المصريون محترفين يجيدون عملهم لاشك فى ذلك.

وفى خلال أقل من خمس دقائق نجحت فصيلة عصمت فى تدمير دبابتين إسرائيليتين بسهولة، تلك الدبابتين اللتين كانتا قد حاولتا التقدم فى مواجهته، لذا فقد قام بإعطاء أوامر جديدة بمساعدة جاره بالنيران. ولم يمض وقت قليل إلا وقد بدأت الدبابات الإسرائيلية فى قذف الدخان لإخفاء أنفسهم والإرتداد للخلف تاركين خلفهم ١١ دبابة و٧ عربات مجنزرة مدمرة تدميراً تاما. . . لقد تركوا ساحة المعركة وهم يجرون أذيال الخيبة بعد أن دخلوها بالثقة الزائدة فى معركة لم تدم إلا ساعة ونصف الساعة ((وكما قال الجنرال موشى ديان فى مذكراته عن حرب أكتوبر: إن أول مفاجأة للحرب كانت تتمثل فى دبابات التعاون الوثيق المصرية التى عملت مع المشاة)



الفصل الثانى

أخذ عصمت يحتسى الشاى مستخدما كعب الزمزمية بشغف لقد كانت كل رشفة من رشفات الشاى حلوة المذاق ذات تأثير كبير ومنشط وأخذ يسأل نفسه لماذا أرى هذا الشاى غير عادى ! هل لأنه لم يتناول هذا الشاى منذ فترة؟!.. أم لأن سائق دبابته قد نظف علبة صاج من المعلبات ثم ربطها بسلك ثم قام بتسخين مياه بالعلبة مستخدما عشب الصحراء كوقود فالأرجح أن الشاى قد التقط رائحة الدخان المنبعثة من العشب فأدخل عنصرا جديدا على النكهة .. لقد كان فى حالة مزاجية رائعة، رائعة، كان سعيداً مسروراً ولم لا وقد نجح هو وأقرانه فى صد ثلاث هجمات معادية أحدثت فى العدو خسائر فادحة

ولم تحدث له أو لجنوده أية خسائر تذكر. . بل إنه قد صار بلا عمل تقريبا منذ أربع وعشرين ساعة كاملة . . وحتى الغارات الجوية فقد بعدت عنه ولا تزال الطائرات الإسرائيلية تركز هجماتها على المعابر. . وتتساقط بكثرة مما يؤكد نجاح الدفاع الجوى المصرى فى السيطرة على منطقة المعابر وأن القوات المصرية مستمرة فى التدفق ناحية الشرق.

****

سأل الجندى مراد ـ ذلك الجندى حديث الخدمة الحاصل على بكالوريوس التجارة،سأل قائده عصمت لماذا لا تحس بالخوف مثلنا؟

فأجابه عصمت متعجبًا ومن ذا الذى لا يخاف!!!

فرد الجندى لقد ظننت أنك لا تخاف أبدا. . إنى لقد راقبتك أثناء قتالك! إنك تقاتل كأنك تمارس عملا يوميا بأعصاب عادية وبلا انفعال بل إنك أحيانا ما تضحك وتسخر من أفعال بعض الجنود الذين لا يتقنون عملهم

بسبب انفعالهم، ومنهم أنا شخصيًا لقد اعتقدت فى النهاية أنك لا تخاف أبدا فأنت شجاع للغاية! فأجابه عصمت يالك من أحمق.. إننى أخاف مثلك تماما ولكنى مدرب على إخفاء الخوف بخبرتى. يا مراد إن الخوف والشجاعة حالتان نسبيتان متلازمتان فلا شجاعة إن لم يسبقها خوف[1].. **فالشجاع هو الذى يحس بالخوف وبالرغم من ذلك فإنه يتغلب عليه، ويسيطر على نفسه ويتصرف التصرف السليم أما الجبان فلا يستطيع السيطرة على نفسه ويتصرف التصرف الخاطىء؛ والإنسان الذى لا يحس بالخوف فهو الإنسان المجنون الفاقد الأهلية ...**

يا مراد إذا أردت أن تكون رجلا شجاعا فدرب نفسك على إخفاء الخوف ودرب نفسك على التصرف السليم فى ظروف الشدة... قطع حديثهما تدخل جندى المراسلة الذى أخبر عصمت بأن قائده الأعلى قد بعث فى طلبه فى مركز قيادته على وجه السرعة... لقد أحس عصمت أن

(١) ربما يفسر الخوف بالحيطة والحذر.

وقت الراحة قد انتهى وأن عليه أن يتلقى مهمةجديدة بمركز القيادة.

هرول عصمت إلى مركز القيادة لمقابلة قائده.. جرى العرف إبّان ذلك أن يتلقى المهام القتالية من قائده المباشر أما المهمة فيتلقاها من قائده الأعلى بالمنطقة الدفاعية...

فمعنى ذلك أنه سيتلقى مهمة جديدة متميزة تحتاج إلى تقدير جيد للموقف كما أنها تحتاج إلى دراسة متفتحة،ولهذا فقد استدعى... دخل عصمت إلى مركز القيادة الذى كان عبارة عن ملجأ سريع الإنشاء تحت الأرض وكان الملجأ مكونا من حجرة واحدة واسعة وبها فتحة واحدة لدخول الأفراد وفتحة أخرى للتهوية ...

وكان بالملجأ منضدة مثبتة عليها خريطة فى وضع أفقى بواسطة دبابيس وبجانب الخريطة وضع مصباح لإنارة الخريطة كما يوجد فى آخر الملجأ سرير سفرى وكرسى واحد يستخدمه القائد وبجانبهم على الحائط «معلقة بندقية

القائد» وخوذته ونظارة ميدانية. . لقد كان القائد «برتبة عقيد» قائد كتيبة المشاة و لقد كان ذلك فى الحقيقة هو أول لقاء بين عصمت وهذا القائد فقد انضم عصمت لمعونته وكان يتم تبادل المعلومات والأوامر إما بإستخدام التليفون الميدانى أو باللاسلكى أو عن طريق السعاة. إلا أنهما قد فهم كل منهما الآخر فهما جيدا مبنيا على الثقة بالرغم من أنهما من رجال سلاحين مختلفين ولم يريا بعضهما بعضا علاوة على أن كلا منهما كان شجاعا وذكيا يجيد التنبؤ بأحداث المعركة[1]. . . **لقد راقب العقيد القائد عصمت أثناء قتاله فوجده رابط الجأش فى أشد لحظات المعركة صعوبة، يتصرف كمحترف كما وجد أن كل تصرفاته تنم عن ذكاء نادر وحسن تصرف وكان متشوقا لرؤيته.** وها قد حان الوقت لرؤيته والالتقاء به. . التفت القائد عند سماعه لصوت خطوات عصمت وهو يدخل الملجأ. كان القائد منكبا على خريطته يجهز فى ذهنه تعليمات المهمة الجديدة

(١) وقد صدق القائل: إن الطيور على أشكالها تقع.

وأوامرها ونظر إلى عصمت متفحصا. . ولكن عصمت عاجله بتقديم نفسه قائلا: النقيب عصمت قائد الفصيلة الثانية دبابات يا أفندم. . . فأجابه قائده ومن ذا الذى لا يعرفك. . يا عصمت . . فضحك عصمت تلقائيا.

أخذ كل من الرجلين ينظر بعضهما إلى البعض بإحترام وترقب لقد كان شكلهما مختلفًا من ناحية المظهر الخارجى،فعصمت كان أبيض اللون طويلا رشيق القوام من تأثير إسرافه فى لعب التنس ! وكان ذا عينين عسليتين وشعر أصفر غامق.

وعموما فإن من ينظر إليه من أول وهلة يتخيل أنه من أبناء الذوات المرفهين الذين ولدوا بملاعق من ذهب. ولكنه عندما يتكلم يظهر صوته الرجولى الحازم ثم سرعان ما يتغير الانطباع الأول لديه إلى انطباع معاكس تماما. أما القائد فقد كان أسمر اللون قصير القامة عريض الكتفين ذا صلعة دائرية وقد ظهر على جانبيها الشعر الأبيض الكثيف

بالرغم من أن سنه كانت أصغر من أن يكون شعر رأسه أبيض بهذه الكثافة. . . قال القائد فلنستغل هذا الوقت قبل مجيء باقى الضباط لمعرفة المهمة الجديدة خاصة وأنك ستلعب فيها دورا هاما. . . وبدأ يلقن عصمت مهمته الجديدة ودوره فيها. . . **انطلق عصمت بدبابته للأمام بمجموعته المشكلة من دبابتين ومركبتين ذواتى جنزير تحملان ٣٠ جنديا من المشاة .. لقد كان مدفوعا للعمل كعنصر استطلاع مقاتل أمام كتيبة مشاة قد كلفت بمهاجمة نقطة حصينة تسيطر على البحيرات المرة بقناة السويس** ونظراً لقوة النقطة الحصينة التى تشتمل على عدة دشم للمدافع والدبابات والرشاشات ونظرا لصعوبة مهاجمتها من الأمام فقد كان تفكير القيادة العليا هو أنها ستوقف الهجوم على هذه النقطة الحصينة فى اليوم الأول من العبور وبإستغلال نجاح سقوط النقط الحصينة على أجنابها[١] تتم مهاجمتها فى اليوم التالى ومن الخلف. . .

(١) المراد جُنُوبها.

ومن هنا كانت مهمة عصمت ومجموعته هى استطلاع وتأمين طريق تحرك المجموعة المقاتلة المكلفة بمهاجمة النقطة القوية ومشاركتها فى الهجوم.. وبالرغم من صعوبة المهمة الملقاة على عاتقه لأنه سيتحرك فى أرض معادية قد يوجد بها كمائن للعدو أو حقول ألغام مخفاة فقد اندفع بمجموعته بحماس مقسما مجموعته إلى قسمين قسم يندفع لإجراء الاستطلاع وقسم آخر يقوم بحماية القسم المتحرك..

أخذ عصمت يتقدم بسرعة فائقة هو وقادته من تبة لأخرى وعند وصوله لكل تبة فإنه إما أن يحاول صعود التبة بدبابته أو على رجليه ليرى من الأعلى لأكبر مسافة ممكنة وحتى يمكن اكتشاف كمائن العدو فى المكان والوقت المناسبين..

وأخيرًا فقد استلفت نظره هضبة عظيمة الإرتفاع على طريق تحركه تصلح للمراقبة الجيدة فأمر سائقه بالتوجه إليها...والتوقف أسفلها... وقفز عصمت من دبابته

متسلقا للهضبة التى كان يصعب صعودها بالدبابة. . . وعند انتهائه من صعودها أحس بالإرهاق لارتفاع الهضبة وصعوده السريع (بدون راحة) ومع هذا فقد تحرك بسرعة إلى أعلى الهضبة وفى إتجاه تحركه المنتظر وأخذ ينظر تارة باستخدام العين المجردة وتارة أخرى بإستخدام نظارة الميدان وفجأة سمع صوتا غريبا لإدارة محرك للبنزين!!! إن محركات دبابته وعرباته المدرعة ذات الجنزير تعمل بمحركات ديزل ولكن هذا المحرك البنزينى لم يسبق له سماعه من قبل وبالفطنة فقد عرف أنه قريب جدا من العدو. . . إنه على بعد أمتار منه. . . **وبالرغم من أنه مسلح فقط بمسدسه وقواته الكائنة أسفل التبة لا تسستطيع حمايته فقد تقدم بسرعة إلى حافة الهضبة** . . . حيث وجد عربتين مدرعتين إسرائيليتين من عربات الاستطلاع ذات البرج المسلح بمدافع ٩٥مم وكذا برشاشات. .ـ. لقد كانتا تحاولان الفرار السريع. . . وفى لحظة أدرك الموقف جيدًا لقد كانت

العربتان تقومان بالاستطلاع من أعلى هذه الهضبة قبل مجيئه لقد كانوا[1] فى الواقع محتلين للهضبة وقد رأوه وهو يصعد الهضبة وبالرغم من أنهم كانوا يستطيعون قتله بسهوله وكذلك مفاجأة قواته إلا أنهم فضلوا الفرار وعدم الكشف عن مكانهم. **أخذ عصمت يقفز سريعا للنزول من الهضبة صائحا فى جنوده بوجود عدو خلف الهضبة ولكن كان لكثرة صياحه وحماسته وسرعة ترديده الكلمات كان لذلك أكبر الأثر فى عدم إلمام قادته المرءوسين بمضمون الإشارة**... وقد مكن هذا العدو من كسب مسافة ٢ كيلو متر هربا [2]... ولكن سرعان ما بدأت المطاردة وكان هذا أول خطأ وقع فيه عصمت منذ أن بدأت الحرب.

اندفع عصمت ومجموعته خلف العربتين الاسرائيليتين كالذئب الجائع ناسيا أنه يجب ألا يحيد عن طريق تحركه

---

(١) المراد مجموعة من الجنود، بواسطة العربتين المدرعتين هاتين.

(٢) المراد إخلاء وترك.

المكلف هو بتأمينه. . . لقد وجه كل اهتمامه نحو اصطياد عربات العدو وتدميرها وسرعان ما "غرزت"[1] احدى العربات بالرمال الناعمة خاصة وأن سائق العربة الإسرائيلى من شدة خوفه لم يستطع تمييز الأرض التى تحرك فى اتجاهها. . وهنا أمر عصمت دبابته بالتوقف والتنشين بدقة على العربة حيث تمكن بسهولة من إصابتها من أول طلقة فى نقطة الإتصال بين البرج والجسم مما أدى إلى إنفجارها السريع وإنفصال البرج عن الجسم وبالطبع لم ينج أحد. . .
أما العربة الأخرى فقد فرت سريعا مستغلة خفة حركة العربة وسرعتها بالمقارنة إلى الدبابة التى تطاردها. . . ولكن ما استرعى انتباه عصمت هو أن القائد الاسرائيلى لم يحاول قتاله مطلقا بالرغم من تسليحه الجيد وأنه كان فى مقدوره إدارة برج عربته للخلف وإطلاق النيران ولكنه ركز

(٢) المراد ساخت وغاصت.

(٢) صدق الله العظيم «بأسهم بينهم شديد». . وقد قذف الله فى قلوبهم الرعب وهم يقاتلون من وراء جُدر. . وقد قال تعالى: ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم، وقذف فى قلوبهم الرعب، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين﴾ الأحزاب ٢٦]، الحشر٢. . المعجم. . المفهرس للخيارى.

على الفرار.[٢].

ارتفعت علامات القلق بوجه عصمت عندما أكتشف أن جميع الدبابات؛ وليست دبابته فقط هى التى لم تحقق الإتصال باللاسلكى بقيادته العليا وكان هذا هو اكتشافه الثانى لأن اكتشافه الأول هو أنه وقواته كانوا قد فقدوا اتجاههم أثناء مطاردته داورية العدو فقد اكتشف أنه كان قد انحرف شرقا بمسافة كبيرة لا تقل عن ١٠ كيلو مترات بعيدا عن طريق التحرك المحدد له... فك أزرار سترته وجذب الخريطة من صدره وحاول قراءتها وتحديد مكانه بدقة ولكنه لم يفلح فى ذلك لعدم وجود علامات بارزة بالأرض تساعده فى تحديد محله.

وأخذ يفكر كيف يحل هذه المشكلة بسرعة لأن مهمته الأصلية تتطلب منه الإنضمام إلى القوة الرئيسية، والمشاركة فى الهجوم على النقطة القوية... وقد حان الآن توقيت الهجوم...

وأخيرا وجد أن أفضل حل هو أن يغير إتجاهه إلى الغرب وأن يحاول الإرتكاز على الهضاب "والتباب" العالية للتعرف على مكان قواته الرئيسية أو مكان العدو. فأصدر أوامره بأنه سيتحرك من تبة أو هضبة لأخرى وعلى باقى قواته أن تسير خلفه بمسافة كيلو متر واحد... وأخذ يتحرك من تبة لأخرى مستطلعا أى قوات للعدو ولكنه لم ير شيئا... غير تباب الرمال ؛وكدى" الحشائش الجافة بالوديان... ولم يجد أية آثار لحياة سابقة أو حالية... وفجأة سمع ضربا شديدا للمدفعية يتخلله إطلاق نيران مدافع دبابات من إتجاه الشمال الغربى. وعند ذلك وجه نظره لإتجاه الشمال الغربى فميز هضبة كبيرة مرتفعة، فأصدر الأمر لسائق دبابته بالإتجاه فورًا إليها... وكذا أعطى أوامره لباقى القوة باللحاق به. اندفع بدبابته لإحتلال أعلى الهضبة وبعد إيقافه لدبابته ميز غبارا لإطلاق نيران من المدافع وسرعان ما وضع نظارة الميدان على عينيه وأخذ

يراقب حتى يكتشف الأسلحة التى تقوم بالرمى وعلى من تقوم بالرمى وسرعان ما ألم بالموقف... لقد كان موقفا غريبا وحرجا ومزعجا...

****

لقد كانت كتيبة المشاة التى هو مسئول عن معاونتها تصطف على الخط الذى ستبدأ منه الهجوم ويظهر فى تشكيلها ٧ دبابات وهى باقى سريته وذلك على خط خلف النقطة الحصينة حيث تقوم المدفعية المصرية بضرب النقط القوية ولكن الغرابة فى الموضوع هى أن خلف الكتيبة بمسافة ٢.٥ كيلو متر تحتل ٦ دبابات إسرائيلية مرابض نيران جيدة التجهيز علاوة على عربات مدرعة وعربات أخذت تقذف بالصواريخ الموجهة على الكتيبة المشاة المصرية من الخلف وكما يبدو فإن الكتيبة المشاة المصرية لم تستطع تحديد اتجاه الرمى لأن معظم القوات كانت تظن أن الرمى من الأمام من اتجاه النقط الحصينة وليس من الخلف. . . لقد

كان تركيز قائد الكتيبة المشاة على النقط الحصينة وعلى أهمية مهاجمتها بسرعة. . . **لقد كان أمام عصمت خياران لا ثالث لهما وهما إما أن ينضم سريعا إلى قواته التى كانت رابضة على مسافة ٥ كيلو مترات ثم يحاول إبلاغها بالموقف وأن هذا سيحتاج إلى حوالى من ٣٠ إلى ٤٠ دقيقة ستتكبد فيها القوات المصرية خسائر عالية خاصة وأن قوات العدو فى وضع جيد ومخفى تماما وإما أن يقوم بإحتلال خط مناسب للإشتباك مع العدو وجذبه فى إتجاهه.**
حتى ينجح الهجوم الرئيسى فى التمهيد للهجوم على النقط الحصينة وفى هذا الحل مخاطرة كبيرة له وللقوات التى معه حيث إن العدو يفوقه عليه فى الدبابات وهو مسلح جيدا بالصواريخ الموجهة المضادة للدبابات وفى لحظات اتخذ القرار الذى يراه مناسبا وهو الحل الثانى بعد أن وضع خطة جهنمية للتعامل مع العدو. لقد كانت خطته ببساطة

تتلخص فى الآتى . . .

جذب أنظار العدو، وعند النجاح فى جذب الأنظار وتحرك العدو فى إتجاهه فإنه يقوم بواسطة الدبابتين بالتقدم.

واحتلال خط مناسب يستطيع منه ضرب العدو من جنبه ولقد كانت المشكلة فى هذه الخطة هى أنه يجب أن يوهم العدو بأن القوة التى تقوم بحركة الالتفاف عليه بقوة كبيرة وليست عربتين مدرعتين لذا فقد أمر العربات المدرعة بالتحرك بفاصل ٥٠٠ مترعلى أن تجر كل عربة حلقتين من سلك الكنسرتينا خلف العربات حتى يتم خروج كمية كبيرة من الأتربة من خلف العربتين فتوهم العدو أن هناك رتلا كبيرا من الدبابات تقوم بالإلتفاف[١] ! وللنجاح فى تنفيذ ذلك فقد أخذ يحدد بدقة طريق تحرك العربتين للوصول إلى جنب العدو وشدد على أن لا تظهر العربات للعدو بل

(١) يعيد خطة خالد بن الوليد (رضى).. وهذا هو التمويه الذكى البارع.

تظهر فقط الأتربة الكثيفة المتصاعدة... ثم أصدر آمرًا بتنفيذ الخداع أولا، بعد أن لقن الجميع بمهامهم... فتحركت العربات بسرعة عالية جاذبة للأسلاك الشائكة خلفها... وعمل عصمت كالمخرج السينمائى الذى يبذل كل الجهد لظهور الفلم بصورة مشرفة حيث أمر العربات بزيادة سرعتها... ثم أمرها بالتحرك بطريقة الزجزاج[1] حتى تفتت جنازير العربات الأرض جيدا وتتصاعد سحب الغبار بكثافة عالية خلفهما... وسرعان ما جذب التحرك الخداعى أنظار العدو... حيث قاموا بتحريك مدافع دباباتهم فى إتجاه قوة الإلتفاف الخداعى ... وبالطبع فقد رفعوا نيران دباباتهم على القوة التى تقوم بالهجوم على النقط الحصينة... عجب عصمت لنجاحه البالغ فى خداع العدو بهذه البساطة وأدرك أن العدو قد أعطى أهمية كبيرة للقوة التى تقوم بالالتفاف، خاصة وأنها قريبة منه... وهنا

(١) بالسير المتعرج.

أصدر أمره للدبابة الأخرى بالتقدم الفورى وإحتلال هضبة مناسبة للرمى على العدو. . **فالخداع لن ينجح مالم تكن هناك نيران على العدو... لم يمر سوى عشرين دقيقة منذ فتح عصمت نيران دبابته إلا وقد أصاب إحدى دبابات العدو فى مقتل حيث إنفجرت سريعا مخلفة من ورائها سحابة كبيرة من الدخان الأسود! هذا بالرغم من أنها كانت فى داخل حفرة مجهزة جيدا.** وبالرغم من أن الجزء الظاهر منها لم يتعد البرج[١].

وأخيرا أدرك العدو أنه قد خدع وأن الإلتفاف وهمى وركز كل نيرانه وصواريخه على الدبابتين . . . وهنا أصدر عصمت أوامره للدبابات بالرمى من أعلى التبة ثم الإختفاء السريع خلفها. . . ثم إعادة التعمير من أسفل التبة ثم الرمى من أعلى التبة وهكذا لقد كان يهدف أساسا إلى تعريض الدبابات لأقل فترة ممكنة. . .**وفى نفس الوقت فقد**

(١) المراد أصابته هو وحده ولم تتعده إلى غيره.

سعى لجذب نيران العدو فى إتجاهه ولمنعها من التعامل مع القوة الرئيسية... لقد كان يبارز ماردا جبارا... وكان أخطر الأخطار التى تواجه الدبابات تلك الصواريخ الموجهة التى يتم إطلاقها من ثلاث عربات داخل حفر. . . لقد كان الصاروخ ينطلق ككرة اللهب تسير بحذاء الأرض ثم ترتفع وتنخفض تبعا لتوجيه الرامى لها. . . وكثير منها ما كان يصطدم بالأرض عند وصوله للهدف حيث يجد الدبابة قد نزلت خلف التبة. . . ولكنها قد نجحت أخيراً فى إصابة إحدى دبابات عصمت حيث اشتعلت بدخان أسود كثيف. . . ثم تصاعدت ألسنة اللهب من فتحتى الدبابة العلويتين . . . وأخذ عصمت يحاول أن يعرف من نجا منها حيث وجد بعد آنقشاع الدخان قائد الدبابة وهو الوحيد الذى نجا . . . حيث قفز من الدبابة فى الوقت المناسب. . . ولكن كان منظره باعثًا على الضحك بالرغم من هول

الموقف، فعند قفزه من أعلى الدبابة سقط على ظهره فأخذ يحرك رجليه وذراعيه بطريقة عشوائية سريعة تدل على عدم إدراكه كالخنفساء التى إنقلبت على ظهرها وتحاول تعديل وضعها بتحريك أرجلها. . . لقد كان مخه لا يعمل من شدة الفزع والرعب الذى رآه فى صورة زملائه الذين أحرقوا والنيران التى لسعته والدخان الذى خنقه والمصير الذى كان يمكن أن يؤول إليه منذ ثوان مضت ثم صاح عصمت مناديا إيه بعد أن وجده يسير على غير هدى فى اتجاه العدو وأشار إليه ليركب دبابته ولكنه رفض الركوب وأخذ يشتم بكلمات غير واضحة المعنى[١]

وأخيرًا رأى عصمت كتيبة المشاة والدبابات المعاونة لها قد نجحت فى اقتحام النقطة القوية وأصبح القتال متلاحما. . . وعرف أنه قد حان الوقت للتخلص من

(١) (ومن الغريب أنه نجا واعتذر لعصمت بعد أن قابله بعد ذلك بعدة أيام). . المؤلف.

المعركة. . . فأصدر أوامره للعربات المدرعة بتفادى المعركة والانضمام السريع إلى كتيبة المشاة وفى نفس الوقت أخذ يخلص دبابته من التبة التى استخدمها للرمى. . . ولكن كانت مشكلته أنه إذا تقدم للحاق بالكتيبة فسوف يعرض دبابته لنيران ٥ دبابات و٣ عربات صواريخ. . . وفعلا أخذ ينطلق بدبابته بأعلى سرعة فى إتجاه النقطة الحصينة وكان أثناء تحركه يسير بطريقة زجزاجية ليتفادى ـ المقذوفات والصواريخ المنطلقة نحوه. . . لقد كانت تلك المقذوفات تتفجر بصورة تلقائية من أمامه ومن خلفه وعلى أجنابه. . . وكان فى كل وقت ينتظر اصطدامها بدبابته. . . وبالتالى الموت الزؤام . . . ولكن فجأة أحسن برجة شديدة بدبابته أثناء تقدمها السريع وأخذ ينظر داخل دبابته لعله يجد نيرانا مشتعلة أو إصابات بالأفراد ولكنه لم يجد شيئا فأمر رامى دبابته بالاستمرار فى الرمى ولكنه أجابه أن هناك إصابة قد تمت ببرج الدبابة وأن البرج لا يستجيب فى

الإدارة وهنا تأكد عصمت أن هناك إصابة ببرج دبابته ولكنها غير قاتلة والأرجح أن هذه الإصابة كانت من أحد تلك المقذوفات المحملة بمادة شديدة الانفجار (تى. إن. تى) (TNT) التى لا تخترق برج الدبابة ولكنها تقوم عند إصابتها "بفلطحة[1]" برج الدبابة فتجعله لا يتحرك. . . **فأصبح عصمت الآن يهاجم النقطة الحصينة بدبابة بدون أسلحتها.! ولهذا فعندما رأى إنسحاب الدبابات الخمس المعادية وعربات الصواريخ إلى داخل سيناء... عندئذ خرج عصمت من برج دبابته وأخذ يضرب ببندقيته الآلية لإصطياد الجنود الإسرائيليين الفارين من الدشم. . .** وقد نجح فى اصطياد ٣ جنود إسرائيليين بسهولة، خاصة ،وأنه كان يجيد القتال بالبنادق كإجادته فى القتال بالدبابات سواءً بسواء.

(١) التقطع هو الإنبعاج. . بحيث يسد المكان ويمنع الحركة فيه أو الخروج منه.

ولكن أعجب منظرٍ كان قد رآه هو أنه قد شاهد جنديا مصريا يعمل كعامل إشارة يأسر٣ جنود إسرائيليين مسلحين ببنادق آلية بواسطة مسدس ٩مم . . . **وعندما أوقف دبابته وتحدث مع الأسرى الإسرائيليين مستفسرا عن سبب استسلامهم السريع للجندى المصرى بالرغم من تسليحهم أجابوه بأنهم كانوا نقطة ملاحظة للمدفعية وأثناء عملهم فوجئوا بالجندى المصرى يأمرهم بعد أن شهر مسدسه بتسليم أنفسهم فرموا أسلحتهم على الأرض فوراً. . .** لقد كانوا يظنون ـ على حد قولهم ـ أنهم محاصرون من قِبَلِ قوة مصرية كبيرة وليس من فرد واحد فقط.

❁❁❁❁❁



أخذ عصمت يتفحص النقطة الحصينة بإندهاش وتعجب من حجم الأموال التى صرفت فى تلك النقطة الحصينة والتى تسمى فى إجمالها «بخط بارليف» لقد كانت بعض تلك النقط الحصينة ذات ثلاثة مستويات فهناك على مستوى الأرض دشم الأسلحة والدبابات (مرابض النيران) وأبراج المراقبة المصنوعة من الأسمنت المسلح ويعلوها أحجار بإرتفاع من ٦ إلى ٨ متر لزيادة قدرة الدشم على إمتصاص المفرقعات ويربط ويثبت هذه الأحجار بعضها ببعض شبكة من الحديد الصلب... ثم المستوى الثانى.... وهو أسفل مستوى الأرض حيث توجد ملاجىء الأفراد وصالات الترفيه والطعام ثم المستوى الثالث

لأسفل فى عمق الأرض حيث توجد المخازن لوضع الاحتياجات والذخائر بل وفى بعض الأحيان توجد المخازن التى وضعوا بها مدافع فى أسفلها حيث يتم رفعها لأعلى عن طريق قضبان السكك الحديدية مع استخدام الكهرباء لرفعها حيث تتحرك تلك المدافع لأعلى إلى الدشم ويتم فتح نوافذ هذه الدشم الفولاذية لتمكن تلك المدافع من الرمى[1]. . ثم دخل عصمت غرفة مبيت الأفراد وقد لاحظ وجود صور لنساء عارية على الحوائط لمجلات أجنبية. . .
كما لاحظ أيضا وجود أجهزة للتكييف والتهوية بكثرة علاوة على أسرّة ومراتب جيدة الصنع لقد أدرك أنه أمام جيش مرفه جيدا.

لقد كانت الفترة التى قضاها عصمت فى النقطة الحصينة من أفضل الأيام التى قضاها فى فترة الحرب فقد نام

---

(١) لقد كان الإنفاق على هذا الخط ببذخ ولم لا وقد كانوا يظنون أنهم لن يخرجوا من هذا الخط المنيع أبداً ولو بعد عشرات الأعوام. . المؤلف.

لأول مرة منذ اندلعت الحرب ٦ ساعات متواصلة هذا بينما لم ينم فى الأيام الثلاثة السابقة فى كل يوم إلاّ فترة تتراوح بين ٢٠ إلى ٣٠ دقيقة متواصلة.

صحا عصمت على رنين التليفون الميدانى فوجد قائد الكتيبة المشاة يتحدث معه قائلا له إنه عين قائدا لسرية الدبابات بدلا من الرائد أبو العلا (الذى علم مسبقا أنه قد أصيب) حيث تم إخلاؤه للخلف للعلاج... **لقد كان عصمت ينتظر من قائده أن يكلمه بعنف ويزجره عن فقده لإتجاه التحرك أثناء المعركة وعن خسائره العالية فى فصيلته لكنه كما يبدو قد غفر له هذه الأخطاء لأنه اشتبك بشجاعة مع قوة الهجوم المضاد للعدو حيث استطاع إشغالها وإخراجها من المعركة الرئيسية للكتيبة مما هيأ الظروف المناسبة للكتيبة فى إختراق النقط الحصينة...**

وبعد إنتهاء المكالمة كان ما شغل عصمت هو أن عليه الآن سرعة رفع الكفاءة الفنية والإدارية لدبابات سريته حتى

تستطيع القتال المناسب فى المرة القادمة. . . فأخذ عصمت يتجول بين النقط الحصينة مسلما على ضباط وجنود المشاة الأبطال الذين اخترقوا بأجسامهم هذه النقط الحصينة ويرد عليه الجنود بالتعظيم وبشائر السعادة والفخر على وجوههم، . . وكأنهم لا يصدقون أنفسهم بالنسبة لهذه الإنجازات التى تحققت .

وأخذ عصمت يسأل نفسه ترى هل تم تعظيم العدو وإعطاؤه أكثر مما يستحق قبل المعركة أم أن عون الله تعالى وإنزاله السكينة فى النفوس كانت هى السبب فى هذا النجاح كله. . . وعلى حين غرة وجد عصمت صديقه النقيب خالد علام أمامه ذلك الصديق الذى كان يقابله دائما فى نادى هليوبوليس الرياضى. فاحتضنه وعانقه مشجعا لقد كان ذلك الملازم من قادة المشاة الأصاغر الذين هاجموا دشم العدو بصدورهم. ولكن منظره الآن كان يختلف تماما عن منظره بنادى هليوبوليس الرياضى. فخالد لم يكن حليق

الذقن تحيط بعينيه كرتان من السواد يدلان على عدم النوم منذ بداية الحرب. . . وثمة إرهاق جسمانى ونفسى يظهران على جميع أجزاء جسمه. . . ولهذا فقد أخذ عصمت يداعبه ضاحكا من منظره الرث . . . وكان خالد يرد عليه بالضحك معه فى مثل هذه الظروف الصعبة. . سأله عصمت عن آخر مرة رأى فيها المرايا. . .؟ قائلا له قد أصبحت أحد «الفيلة» التى تتحدث عنها قصة " كليلة ودمنة" . **ثم سأله عن أخبار البنت الجميلة التى يجلس أمامها فى النادى بالساعات ولا يتخذ إجراءاً فعالاً للتعرف عليها... لأنه خجول... ثم استرسل عصمت ضاحكا وهو يقول يا خالد إن الهجوم أفضل من الدفاع، والهجوم يحقق المكاسب، إننى أقترح عليك فور الإنتهاء من هذه الحرب الهجوم وذلك بالتكلم مع هذه الفتاة الجميلة.** . . واترك الخجل وراءك أتقاتل وتتعرض للموت. . . ولا تخاف وتخشى أن تتكلم مع بنت جميلة. . . فضحك خالد قائلا

والله أول ما تنتهى الحرب :سأعمل بنصيحتك إننى معجب بها للغاية وأريدها أن تكون زوجتى فضحك عصمت وصافحه وقال اتفقنا. . . ثم سارا متجاورين فى اتجاه بعيد عن الدشم التى تم الاستيلاء عليها. . . وما هى إلا لحظات إلاّ وقد سمعوا صوت الرتالة التى يقوم بضربها المراقب الجوى والتى تدل على وجود غارة جوية. وهنا جذبه خالد من يده قائلا أقترح أن نجرى سريعا وندخل بالدشم الإسرائيلية إنها قوية وتتحمل الضرب بسهولة. .

فأجابه عصمت أتجعلنا نجرى كل هذه المسافة... أعتقد أن الأفضل أن ندخل هذه الحفرة البرميلية القريبة إنها أفضل... وهنا اختلف الاثنان ونفذ كل منهما ما يعتقد أنه على الصواب بشأنه.

لقد كان من هوايات عصمت أن يرفع رأسه وعينيه دائما. ويراقب طائرات العدو أثناء إغارتها. . . . فإنه من الرجال الذين يصعب انحناء رؤوسهم لأحد حتى مع الموت. . . وما هى إلا لحظات حتى ظهرت طائرتان من

طراز فانتوم ٤ فوحلّقنا فوق المنطقة الحصينة، وقذفنا بقنبلتين زنه ٢٠٠٠ رطل فوق الدشم الإسرائيلية مباشرة.

وبالذات الدشمة التى دخلها خالد منذ ثوان... أخذ عصمت يراقب الطائرتين وهما تنقضان على أهدافهما ثم تطلع إلى اسقاطهما. للقنابل الشيطانية ثم ارتفاعهما المفاجىء لأعلى لتفادى الشظايا المنبعثة من القنابل الضخمة... والتى لا تستطيع الطائرة إلا أن تحمل واحدة منها فقط... وهنا ارتجت الأرض كالزلزال وبالرغم من أن عصمت كان داخل حفرته البرميلية وعلى مسافة لا تقل عن ٣٠٠ متر من منطقة الإصابة إلا أن الحصى والأتربة كانت قد اصطدمت بوجهه فأضطر إلى خفض رأسه بالحفرة البرميلية ثم سمع الإنفجار الثانى المدوى ولكنه لم يستقبله بنفس القوة فقد وضع كلتا يديه على أذنيه. وما إن مرت عدة ثوان إلا وقد رفع عصمت رأسه مستطلعا تأثير القنبلة على الدشم... لقد كانت الإصابة محكمة فى دشمة خالد

خاصة وأنها كانت فى أضعف نقطة وهى مدخل الدشمة..

أما الدشمة الأخرى فلم تصب بتاتا... لقد كانت الخسائر فادحة فَقَدْ فَقَدَ صديقه خالداً وستة آخرين من الصف والجنود لقد كانت الدشمة بالنسبة لهم مقبرة حقيقية احتوت أجسام الشهداء حيث تهدمت تماما فرقدوا بها ساكنين هادئين حتى يومنا هذا... وتحطمت بذلك أحلام سبعة من شباب مصر الأبطال كان أحدهم هو خالد[1]...

ولم تمض بضع دقائق إلا وقد أرسل المراقبون الأرضيون المدفوعون للأمام بالإشارات الدالة على بدء الهجوم الأرضى بالدبابات إذن فالعدو سيحاول استرداد النقطة الحصينة وما كان الهجوم الجوى إلا تمهيدا للهجوم الأرضى وهنا جذب عصمت صفارته من جنب سترته وأخذ يطلق صفيرا حاداً متقطعا إنها إشارة إلى قادة الدبابات بركوب الدبابات والاستعداد السريع للقتال... ثم قذف بنفسه

(١) أما وقد نالوا الشهادة.. فأى شرف وأي حلم بديع يرجو كل أحد تحقيقه!!.

داخل دبابته واضعا جهاز اللاسلكى على وضع العمل والهلمت (غطاء الرأس داخل الدبابة) على رأسه قائلا باللاسلكى: "لقد حان وقت العمل يا أولاد بعد الراحة الطويلة التى أخذتموها "أخذ عصمت يراقب سحب الأتربة المتجهة صوب النقطة الحصينة من تأثير سير الدبابات الإسرائيلية وتقدمها لقد لاحظ أنها تتزايد بقليل عن الثلاثين دبابة علاوة على تدعيمها بالعربات المدرعة المحملة بالمشاة الإسرائيلية وفى أثناء ذلك اتصل به قائده باللاسلكى وسأله عن موقفه، فأجابه إنه جاهز للاشتباك بجميع الدبابات وأنه فى انتظار إشارة فتح النيران لقد تقدمت الدبابات الإسرائيلية وأخذت تقلل السرعة لفتح تشكيل الهجوم ولاحظ أنها لم تتوقف ولم تقم باستطلاع مواقع انتظار كعادة القادة الإسرائيليين بل أنها تحاول الهجوم من الحركة مستهينة بالعدو الذى أمامها ولم تستفد من خبرة قتال الأيام السابقة بل وصل بها الحد فى الاستهانة إلى أنها بمجرد أن أخذت تشكيل القتال بالمواجهة فقد بدأت بزيادة سرعة

الدبابات والمدرعات وبدأت بالهجوم السريع! سأل عصمت نفسه ياله من قائد غبى إنه يهاجم ويعتبر نفسه أنه فائز من البداية معتمدا على ما معه وهو حوالى خمس وثلاثين دبابة وأن عدوه مدعم فقط بسبع دبابات ولم يعمل أى حساب للمشاة المصريين هؤلاء الأبطال الذين لم يعلم الإسرائيليون قدراتهم وإمكانياتهم الحقيقية بالرغم من مرور بضعة أيام على قيام الحرب. سأل الملازم حسن باللاسلكى عصمت هل أضرب الآن يافندم! إننى أميز الدبابات الإسرائيلية جيدا فأجابه عصمت لا تفتح النيران الآن وفتح النيران سيكون بأوامر شخصية منى... **وبالرغم من أن قائد المشاة قد أعطى أوامر بفتح النيران إلا أن عصمت فضل بذكاء حبس النيران للوقت المناسب... فقد حبسها جيدا فلو أنه أعطى الأوامر بالرمى ودبابات العدو على مسافة من اثنين إلى ثلاثة كيلو مترات لأمكن للعدو أن يركز نيرانه على الدبابات وأن يخصص لكل ثلاث دبابات إسرائيلية** دبابة واحدة مصرية وحيث أن هذه المسافة لا تمكن دبابته من

إصابة دبابات العدو للمسافات القريبة فى مناطق القتل التى حددها من قبل. . . إنه يريد أن تكون كل طلقة خارجة من دباباته طلقة قاتلة[1] لقد كانت خطة استخدامه للنيران تعتمد على مفاجأة العدو من حفرة جيدة التجهيز ومخفاة جيدا لا تظهر دباباته منها إلا عند إطلاقها للنيران أخذ العدو يزيد سرعة قواته عند اقترابه من مواقعنا وأخذت دبابته تتكاثف فى قطاع ضيق تلك عقيدة العدو «السرعة فى الإختراق فى قطاع ضيق. ثم للوصول للعمق وإرباك القيادات وعناصر المعاونة فى العمق للتأثير على الروح المعنوية وسرعة انهيار الدفاعات» ولكن الآن كل مقاتل يعلم عقيدة العدو جيدا وهو مدرب على كيفية احتواء العدو بشجاعة وعلى تدميره ويعلم دوره ووظيفته فى المعركة. سواء كان رامى دبابة أو مدفع أو قاذفا أو جندى مشاة. . . وسواء بفتح النيران أو بالقتال المتلاحم أو بوضع العوائق (كالألغام. . .) **وبدأت المعركة بالنسبة لقوات عصمت بإشارة منه باللاسلكى... قائلا «رعد» الآن وذلك عندما كان العدو على مسافة**

(١) المراد أنها تصيب الهدف فى مقتل.

١٥٠٠ متر من مرابض دبابته حيث أمر دبابته بتركيز النيران على دبابات العدو الدقاقة التى اندفعت للأمام لفتح الثغرات فى حقول ألغامنا وبمرور عشر دقائق نجحت سريته فى تدمير ٣ دبابات للدقاقة بنيران أبطال المشاة ولكن العدو أخذ يدفع بدباباته خلف دبابات الدقاقات الناجحة وأخذ يدفع بدباباته للعبور من الثغرات التى نجح فى فتحها...

واشتدت المعركة وأصبحت النيران والإنفجارات فى كل مكان بأرض المعركة فاستطاعت دبابات عصمت أن تدمر دبابتين أخريين ولكن دبابات العدو واصلت الهجوم السريع والضغط حيث أمكن لدبابات النسق الأول من عبور وتجاوز مرابض نيران دباباتنا بحوالى ١٦ دبابة وهنا بدأ القتال المتلاحم بين أبطالنا المشاة وبين تلك الدبابات وهنا أصدر عصمت أوامره بترك الدبابات التى نجحت فى الإختراق لأبطالنا المشاة وسرعة التعامل مع دبابات النسق الثانى وفصلها عن النسق الأول. . . لقد كانت المعركة رهيبة هنا وهناك. . . تجرى فى كل متر من الأرض انفجارات ونيران

ودخان وأتربة وضوضاء عالية من تأثير الانفجارات وتشغيل مواتير الدبابات والعربات. . . وصياح وتكبير ألله أكبر. . . ودماء تسيل بدون حساب. . . وأجسام بشر تحترق داخل الدبابات والعربات. . . وروائح عطنة غريبة متصاعدة من تأثير حرق أجسام البشر والكاوتش والبلاستيك. . . لقد كان صراعا عجيبا رهيبا ممزوجا ما بين التكتولوجيا وبين الشجاعة والذكاء والامكانيات والقدرات لكل من الطرفين المتضادين ألاَ أنها لأطول دقائق فى عمر البشر المشتركين فيها إنها دقائق مملوءة بالمتناقضات بالخوف والرهبة وحب البقاء. . . بالشجاعة والشرف والكرامة وحب الوطن. .

ثم لاحظ العقيد عبد التواب وهو قائد المنطقة الدفاعية أن دبابات العدو قد بدأت تتوقف أمام القتال المتلاحم لجنوده وبدأت مجهوداتها القتالية تتشتت وهنا أصدر أمره بسرعة احتلال القوات الاحتياطية المدعمة بالصواريخ للتباب الحاكمة حول دبابات العدو وبسرعة معاونة القوات

المقاتلة والدبابات فى تدمير العدو. . . لقد دخلت دبابات العدو فى المصيدة فالمشاة المصريون الأبطال يقاتلونهم من داخل حفرهم بل - إن بعضهم قد تركوا حفرهم وقفزوا فوق دبابات العدو غير مبالين بالنيران يحاولون قتل أطقم الدبابات بالسنكى أو بنيران البنادق وصواريخنا الموجهة تحصد دباباتهم من الجنب ودباباتنا تفصل دباباتهم عن بعضها وتمنعهم من الانسحاب. . . **لقد كانت سيمفونية عظيمة للنصر بقيادة المايسترو عبد التواب... حيث بدأت تظهر بالتدريج معالم الهزيمة على قوات العدو إذ بدأت بعض الدبابات المتفرقة تحاول الارتداد فى اتجاهات مختلفة مما يدل على أن القائد الإسرائيلى قد فقد سيطرته على دبابته ... وأن القادة الأصاغر يحاولون الإنسحاب بدون خطة واضحة للانسحاب...**

وهنا أصدر العقيد عبد التواب أوامره المشددة بمنع الانسحاب والارتداد للعدو ، وذلك بتكثيف القتال المتلاحم ورمى الألغام سريعا على الطرق المتوقع الارتداد عليها. . .

وعلى دبابات عصمت القيام بمناورة شريعة، وعمل الكائن لمنع أرتداد دبابات العدو. . . وتم تنفيذ أوامر القائد فى إستجابة سريعة وبدأت أصوات المعركة تقل رويدا رويدا حتى سكنت تماما إلا من آثار الحرائق والدخان وأنات المصابين. . . لقد فقد العدو فى هذه المعركة من الدبابات والعربات حوالى ٨٠٪ من قواته أما الأسرى فإن عددهم كان كثيرا أكثر من المعتاد فقد تمكنت دبابات عصمت وحدها من أسر ١٤ أسيرا وعند تجميعهم أمام عصمت تمهيدا لتسليمهم للقيادة الأعلى فوجىء بأنهم ذوو أشكال مختلفة فبعضهم أصفر الشعر ذو عيون زرقاء والآخر ذو شعر أسود وبشرة سمراء اللون... والبعض الآخر زنجى الشكل وكان معظمهم فى حالة من الذعر والخوف والرهبة بل إن بعضهم عندما يقترب منهم جندى مصرى سرعان ما يغطى وجهه بذراعيه متوقعا أنه سَينضرب [١]. . . وهنا خطب فيهم عصمت باللغة الإنجليزية بأنهم قد أصبحوا

(١)المراد سيُضرب. . ولعلهم قد أوهموهم بسوء المعاملة من جانب المصريين هكذا فى إسرائيل. . فرأو النقيض.

أسرى أى خارج المعركة وأنه لا داعى لذعرهم لأنهم سيعاملون معاملة كريمة تليق بالمقاتلين. . . . ماداموا قد أطاعوا الأوامر والتعليمات. . . وفى الحقيقة فإن هذه المعركة كانت ضربة كبيرة للقادة الإسرائيليين أثبتت أنه من الصعوبة بمكان أن يحاولوا استرداد المناطق الحصينة وهذا ما حدث بالفعل حيث أن هذه المنطقة الحصينة لم تهاجم مرة أخرى حتى نهاية الحرب.





الفصل الرابع

اجتمع الضباط فى الصالة الإسرائيلية الأنيقة بالمنطقة الحصينة لقد كان أغلب الضباط حينذاك من ضباط المشاة حيث إن الوحدة القائدة من المشاة تحت قيادة العقيد عبد التواب... والتى كانت قد دعمت بسرية دبابات وعناصر من الصواريخ الموجهة لقد كان الجميع فرحين وفى نشوة النصر خاصة وأن العدو ظل خامل النشاط لمدة ثمان وأربعين ساعة بعد المعركة التى تكبد فيها خسائر فادحة..

ثم بدأ العقيد عبد التواب فى حديثه بالثناء على جميع الضباط والصف والجنود فى قتالهم وخص بالذكر بعضا ممن أبدوا شجاعة فائقة... ثم أمر بالوقوف دقيقة حدادا على أرواح شهدائنا الأبرار[1]... ثم أخبرهم بأن هناك

(١) المراد الترحم والدعاء لهم .

تعليمات عاجلة بإعادة التنظيم وانتقال بعض الضباط إلى وحدات أخرى للتكليف بمهام قتالية جديدة وهنا وجه كلامه إلى عصمت قائلا . . . إنك مطلوب منك التحرك اليوم مساء للانضمام إلى اللواء المدرع(وحدته الأصلية) وعليك بتجميع عدة أفراد من أطقم الدبابات التى دمرت دباباتهم لأخذهم معك لقد كنا نريد أن تظل معنا لقد حاولت أن تظل تحت قيادتى ولكن قيادتك أصرت على سرعة انضمامك للواء مساء هذا اليوم بارك الله فيك ثم قام واحتضن عصمت مصافحا قائلا: على فكرة إنك ستتغدى معى اليوم فذلك الغداء هو حفلة(١) توديعك. . . فأجابه عصمت ضاحكا وهو كذلك. لم يستغرق الاجتماع إلا نصف ساعة حيث تحرك عصمت مع قائده للجنه لتناول الغداء. . . **وبمجرد جلوسهم على المقاعد حتى بدأ العقيد عبد التواب يتكلم مع عصمت عن خبرته فى أعمال القتال**

(١) المقصود الاحتفاء والتكريم قبل التوديع.

عن الأيام السابقة ثم سأله عصمت قائلا إننى أتعجب يا أفندم كيف خسرنا حرب سبعة وستين والعدو على ما رأينا ليس بالقوة التى تمكنه من إحراز نصر حاسم بل انه فى الواقع كثيرا ما يتجنب القتال الفعلى لأنه يخشى دائما خسارة فى أرواح أفراده.

فقال العقيد عبد التواب إن الحرب الحديثة تكسب قبل أن تبدأ[١] فبالتخطيط الجيد والاعداد الدقيق والقيادة الواعية وبالحشد المناسب للقوات والأسلحة والمعدات ثم بتحقيق المفاجأة كل ذلك سيؤمن ويؤكد النصر وهذا ما فعله عدونا فى الحرب السابقة وهو ما فعلناه فى الحرب الحالية. . . لقد كانت هناك سلبيات كبيرة فى الماضى عززت هذه الهزيمة وفى الحقيقة فإن عوامل الهزيمة كانت فينا قبل أن تكون فى قوة العدو ولكن والحمد لله فقد استطعنا دراسة هذه السلبيات وتلافيها. . . ، وأنظر

(١) المراد كأنك تكسبها بحسن التخطيط لها والتعبئة كما سترى.

الآن. . . إلى هذه الأيام المجيدة فها نحن قد اخترقنا خط بارليف بسهولة عابرين «لأكبر مانع مائى» فى التاريخ الحديث ناجحين فى تدمير الدشم الحصينة مدمرين جميع هجمات العدو المضادة بأحدث دباباته وأسلحته كل ذلك بفضل الله والقيادة الواعية والإعداد والتجهيز الجيد للأفراد والأسلحة والمعدات. هذا بالرغم من أن العدو يملك كَماً من الأسلحة والمعدات أحدث وأكثر بكثير مما نملك. . .

لقد كان الغداء ثريا بأنواع المأكولات بعضها من التعيين المصرى والآخر من مخازن جيش الدفاع الإسرائيلى وعلى الأخص علب الكمبوت والشكولاته...

حتى إن معدة عصمت كانت قد امتلأت تماما بالطعام . . . وكأنه يعوض سوء التغذية عن الأيام السابقة! وأخيرا قام عصمت واقفا قائلا. . . اعذرنى أيها القائد فعلىَّ الآن الرحيل لتجهيز الأفراد خاصة وأننى أحسست أننى على وشك النوم. . . فقام عبد التواب باحتضانه مرة أخرى ذلك

الإحتضان الذى يدل على الحب والدفء الحقيقى بين رجلين لم يتعرفا على بعضهما إلا منذ بضعة أيام ولا تربطهما ببعضهما صلة أللهم إلا المشاركة فى الشجاعة وحب الوطن. . . لقد ظلت هذه اللحظات راسخة فى عقل عصمت خاصة وأنه كان اللقاء الأول والأخير بينهما فقد **استشهد البطلِ العقيد عبد التواب بعد بضعة أشهر بعد كفاح وقتال مضنٍ كان فيه مثالا للقائد الشجاع القدير وذلك فى يوم إيقافَ النيران بيننا وبين العدو الإسرائيلى من** دانة مدفعية طائشة وقد أكد هذا نظرية راسخة فى ذهن عصمت يؤمن بها دائما وهو أن الله دائما يختار الأخيار من أهل الأرض إلى جواره مبكرا عن باقى البشر. . . وصدق رسول الله ﷺ فى حديثه الشريف عندما قال"كلكم ميت وإنما يعجل بخياركم"

تحرك عصمت بالعربة اللورى حاملا أفراد أطقم الدبابات الزائدة عن الدبابات حاجتهم وأخذ يحيى أفراد المشاة بالمواقع الحصينة لقد كانوا يلوحون له بعلامة النصر

أو بالتلويح بالبنادق أما هو فكان يرد عليهم بالإشارة بذراعه من خارج نافذة العربة ... ولم يمر سوى وقت قصير إلا وقد خرج من نطاق المنطقة الحصينة لقد كان عليه أن يتحرك لمسافة أكثر من ثلاثين كيلومتراً عرضا بطول الجبهة ولذا فقد أخرج خريطته وأخذ يدرس ويراجع طريق التحرك بعد أن علم فى السابق بأوضاع قواتنا وبأوضاع حقول الألغام والمناطق التى لا زالت تقع بها اشتباكات حتى يستطيع تفاديها وعموما فقد كان خط الجبهة فى هدوء نسبى **حيث خسر الإسرائيليون حوالى ٦٠٠ دبابة وعربة مدرعة والتى كانت تمثل قوة الدفاع الإسرائيلية عن سيناء.. ولكنه يعلم أن الإسرائيليين يحركون مئات الدبابات من عمق إسرائيل للجبهة المصرية** ... لتعويض خسائرهم العالية وأخذ عصمت ينظر لحطام الدبابات والعربات والمعدات الإسرائيلية المحطمة والمحترقة وقد تناثرت بجانبها أشلاء بشرية وجثث وبقع حمراء غامقة أخذت تتحول بالتدريج للون الأسود... والأرجح أن قواتنا لم تقم فى المرحلة

الأولى برفع الجثث حيث كان كل مجهود قواتنا موجهاً أساساً للتجهيز الهندسى لإنشاء حفر كملاجىء للأفراد ومرابض للدبابات والمدفعية. . . لقد كانت الإصابات فى تلك الجثث محكمة حتى أحالتها إلى أشلاء ممزقة؛ جثث هؤلاء الذين أصابهم الغرور والخيلاء وظنوا أنهم شعب الله المختار وأنهم أذكى شعوب البشر ونسوا أن البشر جميعاً من أب واحد وأم واحدة. ثم إنه أثناء مروره على إحدى وحدات المشاة المصرية لاحظ أنهم قد دفنوا شهداءهم بأرض المعركة حيث وضعوا جثثهم بأعلى التباب والهضاب إذ كانت الأرض صخرية لا يمكن حفرها وقد وضعوا فوق جثث الشهداء أكواماً من الحجارة لقد دفنوهم بملابسهم وأحذيتهم ثم وضعوا أخشاباً صغيرة فى شكل أوتاد وكان مثبتاً عليها خوذ الشهداء وأسماؤهم.

لقد سرت بجسده رعشة كهربائية عند مروره بهذا المنظر فقد أحس بأن هؤلاء الشهداء يراقبونه من أعلى بل

ويحيونه. . . لقد شعر بإحساس غامر بأن ذلك هو أفضل موت للمقاتل المؤمن بالله وعدالة قضيته. . . بل وتمنى أن يُستشهد ويدفن بهذه الطريقة. . . فى الصحراء الفسيحة. . . وفى أعلى التباب. . .

أخذت عربته تسير عبر قواتنا المقاتلة وكثيراً ما كان يتم إيقاف عربته للتأكد من الشخصيات ومعرفة كلمة المرور... ثم سرعان ما يتم سؤاله من جانب أفراد الحراسة والمعارضة عن أخبار وحدته وما حققته وسرعان ما ترتفع الروح المعنوية لكل الأطراف ...

وأخيراً وصل إلى منطقة التجمع المطلوب الوصول إليها تلك المنطقة التى كان على مدخلها ضابط من الشرطة العسكرية وجنوده للإشارة فسألهم بعد أن أعلن عن نفسه ومهمته عن المكان المطلوب التوجه إليه فأرشدوه إلى ذلك.

تحرك عصمت إلى داخل منطقة التجمع وقد لاحظ أن هناك أرتالاً من الدبابات قد أخذت تنتشر فى المنطقة ودبابات أخرى قد سكنت فى ملاجئها. . . لقد أحسن إذ

تم الآن تجميع اللواء المدرع الأم بعد أن كان قد ساند هجوم المشاة الأبطال فى الأيام الأولى. . . وأنهم مقبلون على مهمة جديدة. . . إتجه عصمت إلى مركز قيادة اللواء بعد أن عرف مكانه وأبلغ عن وصوله وعن القوة التى معه. . . حيث أمر بالانتظار فى مركز القيادة لحين وصول الأوامر الجديدة له. . . **وهنا استغل الوقت فى التوجه إلى صديقه النقيب محسن وهو ضابط يعمل بمركز القيادة ليعرف أخبار كتيبته من ناحية وما أنجزته، والخسائر دفعت بها من ناحية أخرى** وعندما سأل محسن عن ذلك أجاب بأن الخسائر حتى الآن مقبولة. . . ولكن ما يميز الخسائر هو ارتفاعها فى ضباط المدرعات بصفة خاصة. . . لوقوفهم بفتحات الدبابات بشجاعة فائقة مستهينين بالموت ثم سأل عصمت عن ضباط كتيبته اسماً اسماً وهنا أجابه محسن بأن كمال ومحمود رماد[1] الآن وهناك أربعة من الضباط جرحى وذكر

(١) يستخدم رجال المدرعات إصطلاح (رماد) حيث يدل على أن الشهيد قد أنفجرت به الدبابة وهو يقاتل من داخلها حيث إن إنفجار الدبابة والذخيرة التى بها يحول كل شيء إلى رماد. المؤلف

له أسماءهم وذكر أنهم قد تم أخلاؤهم للعلاج ثم أخبرهُ أن أحد الضباط الإحتياط[1] قد أصيب بالصرع من جراء الحرب فسأله عصمت وكيف تعاملتم معه فأجابه محسن بأن الطبيب الضابط أفتى بأن عليه أن يستمر فى الميدان لأنه لو سحب من الميدان لأصيب طوال عمره حيث أن علاجه أن يستمر فى الميدان حتى يرجع إلى حالته الطبيعية مع رفع الأعباء والواجبات عنه فضحك عصمت وقال ياله من خيار وعلاج. . . **حقاً إن أصابع اليد كلها ليست متساوية والقدرة على التحكم والسيطرة على النفس تختلف من فرد لآخر ولا يظهر ذلك إلا فى المواقف الشديدة...** لقد كان عصمت فى تلك اللحظة يحس بالشعور المتناقض يحس بالزهو والفخر لما أنجزته قواته ووحداته ويحس بالحزن والألم والقلق للخسائر التى حدثت من استشهاد بعض الضباط والصف والجنود الذين يعرفهم وكان على صلة

(١) المراد بمجموعة الاحتياطى.

بهم ولكنه تذكر أن الشعوب عليها أن تؤدى ضريبة الجهاد أمام الله.

وأخيراً صدرت الأوامر إليه بأن يتوجه إلى كتيبته وقد عين قائداً لإحدى سرايا الدبابات التى أستشهد قائدها فتوجه عصمت سريعاً لمقابلة قائده وهو المقدم المهدى الذى أنفصل عنه من اليوم التالى على بداية الحرب نظراً لسحب عصمت ضمن مجموعته لتدعيم أعمال قتال المشاة. **وجد عصمت المقدم المهدى جالساً على الأرض بجانب دبابته وقد شد شبكة الإخفاء والتمويه على دبابته فصنعت له ظلاً وكان أمامه خريطة وعلبة ألوان وكان عند وصول عصمت يرسم على خريطته**... فصاح عصمت محيياً: مساء الخير يا أفندم! فأجابه: أهلاً وصلت أخيراً... كيف حالك وما أخبارك. وأخبار أبى العلا هل صحيح أن جرحه كبير!؟. فأجابه عصمت قائلاً فى الحقيقة كانت الشظية كبيرة وذات حافة حادة ولكنها مرت مرور الكرام على بطنه ففتحت البطن تماماً لمسافة ٢٥ سنتيميترات إنما لم تتوغل فأبو العلا يملك بطنا من الفولاذ وقد سمعت أنه يتحسن الآن بالمستشفى الميدانى بعد أن أجريت له الجراحة اللازمة...

ثم واصل المقدم حديثه قائلاً:والله منذ زمن ولم أرك لقد سمعت أنك كنت سارحاً فى الجبهة...

فضحك عصمت معلقاً بالفكاهة سيادتك الذى تخلصت منى وأرسلتنى لمعاونة المشاة...

فضحك المهدى قائلاً: ها نحن قد أحضرناك مرة أخرى وسوف نرى ماذا ستفعل . . . الظاهر يا عصمت أنهم يعيدون تجمعنا لأن هناك تطوراً جديداً فى الحرب وعلى كل حال فأنا أعتقد أنك ستقود السرية الثانية دبابات وهى والحمد لله فجميع دباباتها سليمة عدا دبابة واحدة أرجو أن ترفع كفاءتها الفنية فى أسرع وقت فلا يعلم إلا الله ما هى مهمتنا الجديدة. . .

فقال عصمت تمام يا أفندم هل هناك أوامر أخرى فردَّ : شكراً.

تحرك عصمت فى اتجاه سرية دباباته الجديدة سيراً على الأقدام وأخذ يفكر وكان متفائلاً ومتشوقاً لرؤية أفراد كتيبته السابقة ضباطاً وصفاً وجنوداً. . .





الفصل الخامس

صحا عصمت من سريره بعد نوم هنيىء وكيف لا وقد خلع حذاءه لأول مرة منذ إندلاع الحرب بل وخلع القايش من وسطه فقد جرى العرف على أن ينام بالأفرول والقايشُ مربوطٌ على وسطه والحذاء فى رجله ومسدسه بجانبه ولكن الآن الأمان أكبر. . . واحتمالات أن يتحول للقتال فى وقت قصير قد أصبحت أمراً بعيد الإحتمال. . ولكن أثناء قيامه بغسل وجهه سمع صوت الرتالة وهى تضرب بشدة معلنة عن رفع درجات الأستعداد للدرجة القصوى وفتح المحطات اللاسلكية داخل الدبابات. . . **«أستغرب[1]» عصمت من هذا التحول المفاجىء خاصة وأنه ليست هناك أى تعديات ظاهرة فلا طائرات مغيرة فوقه ولا مدفعية للعدو تقوم بالرمى**. . .وسرعان ما ارتدى ملابسه وقفز داخل دبابته. . .

---

(١) استغرب أى عجب واندهش وعدّه غريبا فى بابه. . المصحح.

وأخذ تمام دباباته باللاسلكى وسرعان ما أعطى تمام استعداده لقائده. . . ثم تلقى المفاجأة الثانية فقد أمر بالتحرك بسريته فى هيئة رتل إلى هضبة على مسافة بضعة كيلو مترات فى الأمام ثم الأنتظار حتى يلحق به قائد الكتيبة. . . فقام عصمت بإعطاء الأوامر بذلك لقادة فصائله التى بدأت فى التحرك بدباباتها فى الأتجاه المحدد.

وتحرك عصمت بدبابته على رأس السرية وأخذ يراقب ضباطه وهم يسيطرون على دباباتهم ويدخلونها فى تشكيل التحرك وأخذ عصمت يفكر فى المهمة الجديدة فالهضبة التى حددت له ما هى إلا خط الإبتداء لتنفيذ مهمة جديدة ولكن ما كان يُقلقه هو أن المهمة كان يتلقاها بطريقة سريعة ومفاجئة وغامضة ومختلفة تماماً عما كان قد تعود عليه.. ثم إن من الواضح أن تلك المهمة ستكون خارج المنطقة المحررة. . .

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

مر عصمت على مواقع المشاة المصرية التى خرجت من خنادقها لتحيته بتحريك أيديهم المحملة بالأسلحة لقد كانت تلك التحية من محارب إلى محارب آخر تشجعه وتحفزه على تنفيذ مهامه القتالية الجديدة. . . **لقد أدرك رجال المشاة من تحريك الدبابات من الخلف واندفاعها للأمام بهذه السرعات العالية أدركوا أن إخوانهم رجال المدرعات على وشك الإندفاع للأمام خارج نطاقهم وذلك لتطوير الهجوم**... وأخيراً وصل عصمت إلى الهضبة المحددة له حيث أمر قادة فصائله بالترجل من الدبابات واللحاق به على الهضبة. . . ولم تمض بضع دقائق إلا وقد انضم إليهم قائد الكتيبة المقدم المهدى.

فتح المقدم خريطته وأخذ يوجهها ثم سأل عصمت أتعرف محلك الآن على الأرض فأجابه تمام يا أفندم. . . فأمره المهدى بأن يحدد فى الخريطة المكان فأشار عصمت بدقة للمكان. . . فقال المهدى تمام. . . تمام سنتحرك الآن

على الخريطة سنفتح هنا وهذا الهدف أتعلم يا عصمت ما هو الهدف فأجابهُ لا... فقام برسم رمز يشير إلى مركز قيادة العدو فى الجبهة... وهنا أدرك عصمت ما هى المهمة... ثم أفاض المهدى فى شرح المهمة... والجميع فى سكون تام... **لقد كان المطلوب من عصمت وسريته التحرك لمسافة تزيد عن الثلاثين كيلو متراً بقليل فى أرض معادية يستطلع كل متر منها ويدمر أية قوات للعدو تقابله وقد تكون موجودة هناك مؤمناً تحرك كتيبته حتى الوصول للهدف ثم يشترك مع باقى الكتيبة فى تدمير الهدف...**

أخذ عصمت يفكر بجدية ثم صاح فجأة ياله من هدف ثمين وشهى وبالرغم من إدراكه للصعوبات تماماً فإن طبيعتهُ المتحمسة الجسورة قد تتغلب على تلك الصعوبات ثم استأنف كلامه قائلاً أمام قائده وضباطه ولينقل حماسته لهم: أهذه هى المهمة فقط؟؟ فأجابه المهدى يكفيك هذا... ثم ترك المهدى عصمت وضباطه لإجراء أعمال

التلقين بالمهمة الجديدة.

* * * * * *

اندفعت الدبابات المكلفة بالإستطلاع من سريةدبابات عصمت للأمام وأخذت تتقدم بحذر شديد فى هدوء وثبات حيث إنهم بمجرد عبورهم لخنادق المشاة المصرية فقد أصبح احتمال وجود عدو كبير جداً احتمالاً محققا.

تحرك عصمت بدباباته خلف دبابات الإستطلاع مباشرة وأخذت الدبابات تطلق نيران رشاشاتها على كل كدية أو حشائش فى الأرض يمكن للعدو استخدامها فى الإخفاء كنوع من أنواع التفتيش الدقيق...

وما هى إلا ثلاثة كيلو مترات قد عبروها وحتى فتحت عليهم نيران مفاجئة على الجانب الأيمن من الطريق... وبسرعة أمر عصمت جميع دبابات الاستطلاع بالاستتار فى الأرض ومحاولة معرفة قوة العدو ومكانه بدقة... وفى نفس الوقت أمر باقى دبابات سريته فى الخلف بالتوقف

أيضا والاستتار.

لقد كانت الأرض التى يعمل بها العدو ذات طبيعة جيدة للاختفاء والاستتار لما بها من هضاب وتباب متعددة. . . لهذا لم يرد عصمت أن يغامر بالتقدم إلا بعد معرفة قدرة العدو الذى أمامه بدقة. . . وسرعان ما أمر دبابتين من دبابات الاستطلاع بالاشتباك مع العدو من خلف التباب حتى يستطيع أن يكشف خطة نيران العدو والأسلحة التى معه. . .

وبدأت دبابات عصمت فى الاشتباك وهو كالمدرب يراقبها ويراقب العدو باستخدام نظارة الميدان... حتى اكتشف فى النهاية أن قوة العدو الذى أمامه هى عبارة عن أربع دبابات وعربتين مدرعتين... وهنا أمر جميع دباباته بالفتح للقتال وسرعة مهاجمة العدو من الحركة لقد كان يثق فى كفاءة أطقم دباباته ومستواهم العالى ويريد أن يزيدهم ثقة بأنفسهم وكفاءتهم وذلك بتدمير العدو! تقدم بسرعة

عالية وبدون توقف ثم اندفع عصمت بدبابته هو بسرعة عالية أمام دباباته. فاتحا النيران بسرعة عالية وكان هذا تصرفا غريبا منه فالقائد يجب أن يكون خلف قواته وليس أمامها حتى يمكنه رؤية قواته والسيطرة عليها[1] وكان التصرف الأغرب أنه هبط لداخل دبابته وأزاح رامى دبابته برفق قائلا لو سمحت أترك لى الطلقة الأولى لافتتح المعركة... وكانت الطلقة الأولى من دبابته أكثر من رائعة فقد أطاحت ببرج الدبابة المصابة مما يدل على ثقة الرامى وإحكامه الضرب... وهنا هللت أطقم الدبابات فى داخل الدبابات الله أكبر...

وفتحت الدبابات نيرانها فى وقت واحد تقريبا وفى خلال وقت قصير للغاية كانت قد اشتعلت الدبابات المعادية جميعا وكذا احدى العربات المدرعة وهربت الأخرى ... هذا ولم تحدث أية إصابات بدباباتنا ولكن لماذا تصرف عصمت هذه التصرفات الغريبة لقد أراد أن يظهر شجاعته

(١) أى لتوجيهها فى الميدان..

وبراعته أمام السرية الجديدة التى يقودها حتى يكون مثالا يحتذى به أما عن المقدم المهدى فقد أخذ يتصنت[1] على اللاسلكى حيث أمكنه سماع إشارات، وأوامر المعركة ثم **فوجىء بعد وقت قصير بأن عصمت يبلغه عن تمام تدمير العدو وأضاف أيضا بأنه يمكنه تمييز تحرك رتل معاد من الدبابات مخلفا وراءه خطا هائلا من الرمال على مسافة أربعة كيلومترات لقد استنتج كل من القائدين أن الدبابات والعربات التى دمرت كانت عناصر حراسة واستطلاع لقوة أكبر وها هى القوة الرئيسية للعدو تدخل المعركة** وهنا أصدر المقدم أمرا لعصمت بالتمسك بأرض عالية مناسبة لإيقاف دبابات العدو التى تفوقه عددا فاندفع عصمت ودباباته كالوحوش الكاسرة لتنفيذ هذا الأمر وأخذ عصمت يشرف على احتلال دباباته للتباب الهامة ويحسن أوضاعها بسرعة حتى تستطيع مقابلة العدو فى أفضل وضع و فجأة ظهرت دبابات العدو فى المواجهة فى حوالى ثلاثين دبابة أو أكثر

(١) المراد: يتنصت.. من أنصت انصاتا.. وهو التسمع للاستطلاع الأخبار.. المصحح

بقليل ومعها أربع عشرة عربة مدرعة وبدأ الاشتباك السريع. . لقد أحس عصمت بالقلق إذ أن كتيبته الأم كانت من خلفه وإنما هو يحتاج إلى عشر أو خمس عشرة دقيقة للدخول فى المعركة أو بمعنى آخر كان عليه أن يقاتل بمفرده ضد عدو متفوق عليه بنسبة ثلاثة إلى واحد وبالرغم من هذا فقد تماسك ولم يطلب من قائده الإسراع خشية أن ينقل قلقه إلى قادته المرءوسين واعتمد على حسن إدراك قائده وأنه **سوف يدخل المعركة فى الوقت المناسب ومن المكان المناسب وأخذ عصمت يوجه دبابته للقتال من خلف التباب حتى يقلل تعرضها للنيران. وبدأت المعركة صاخبة** مميزة بقتال الدبابات فالدبابات الإسرائيلية كانت قد أخذت تتقدم ببطء معتمدة على كثرتها وأخذت تلقى نيرانها بأعلى معدل أما الدبابات المصرية فقد أخذت تلقى بنيرانها من خلف التباب بمعدل أقل لقد كان هدف عصمت الأساسى هو «القتال التعطيلى» وإحداث أكبر خسائر للعدو وأقل خسائر فى قواته مع جذب العدو بكامل قواته إلى اتجاهه

لإتاحة الفرصة لقائده لتوجيه ضربة قوية على أحد أجناب العدو.. وبطريقة مفاجئة! انشغل عصمت بإدارة نيران دباباته علاوة على[1] مراقبته لأعمال قتال دباته واحدة وفجأة ظهرت دبابات كتيبته الأم على الجانب الأيمن للعدو فأصبح العدويين المطرقة والسندان.. وقد شوهدت دباباته وهى تأخذ اتجاهات متعددة للدفاع عن نفسها **وأخذت دبابات قوة الالتفاف تضغط بقوة على العدو بقيادة القائد المهدى الذى ميز عصمت دبابته المرفوع عليها بيرق لقد كان قائدا شجاعا إلى حد التهور فقد كان مندفعا أمام دباباته بأكثر من مائتى متر ثم بدأت المعركة تميل لصالحنا** وبدأ عصمت كما يقول رجال المدرعات فى مصطلحاتهم "يقّسم على العدو" أى يضرب ويقود النيران بهدوء وحكمة أو بمعنى آخر كان هو مسيطراً على الموقف ولكن على١١٥ حين غرة وجد عصمت دبابته تهتز بشدة وأخذت إضاءة مبهرة تضىء وتطفىء داخل دبابته حتى افتقد حاسة الرؤيا

(١) المراد فضلا عن هذا.

لبضع ثوان لقد دخل مقذوف قاتل داخل دبابته لذا فقد صاح عصمت فى الطاقم بسرعة بإخلاء الدبابة قبل أن تنفجر تماما. . . ثم قفز من دباباته هو والمعمر ثم تلاهما الرامى. . . ولكن السائق لم يخرج. . . **وبحركة لاشعورية قفز عصمت فوق الدبابة مرة أخرى فوق مكان السائق تماما وأحس بالسعادة عندما وجد فتحة السائق مفتوحة حيث أزاحها بيده فوجد السائق جالسا وهو مذهول... لا يتحرك... فأمره بسرعة الخروج... ولكنه أجابه مذهولا بأنه لا يستطيع... فصاح عصمت فى وجهه حاول الخروج وسأعاونك من الخارج ومد عصمت ذراعيه القويتين وأمسك بكتف السائق وجذبه لأعلى وبجهد كبير خرج السائق من فتحته ولكن بدون ساقين...** وهنا أدرك عصمت ما حدث لقد أصيبت دبابته بذلك الصاروخ الملعون الأمريكى الصنع المسمى (التو) الذى يقوم عند اصطدامه بجسم الدبابة. يقوم بإنتاج حرارة عالية تصهر الحديد وقد قام الحديد المصهور بأكل ساقى السائق. . . فجذب عصمت

سلك تليفون قديما من على الدبابة يستخدم فى ربط الأشياء على ظهر الدبابة وقام بربط ساقى السائق ربطا محكما عند منطقتى القطع حتى يمنع النزيف ولكن ما كان يدهشه هو أن السائق المقاتل بالرغم من الإصابة الجسيمة التى به فإنه لم يبك أو يخف بل إنه قد طلب من عصمت برجولة ألا يتركه كما تقضى التعليمات حتى تلحق به العناصر الطبية وتعالجه... بل أصر على أن يوضع على أحد محركات الدبابات وأن يترك حتى تنتهى المعركة... وقد نفذ عصمت طلبه عندما ركب دبابة أخرى حيث وضعه على محرك الدبابة ونسيه تماما لانشغاله فى المعركة [1]...

ودارت المعركة ساخنة بين الدبابات لقد كانت القذائف اللعينة تقذف[2] هنا وهناك متفجرة ومبعثرة شظاياها فى جميع الاتجاهات حاصدة للأرواح فخسائر قتال الدبابات

---

(١) وقد عاش السائق بعد ذلك فخورا بهذا الحادث وقد تم تركيب أطراف صناعية له فيما بعد...). المؤلف

(٢) المراد تلقى.

من أعلى الخسائر لأى نوع من القتال وهى تصيب الفائز المنتصر والخاسر المهزوم على حد سواء... لقد كانت النفوس قلقة والعرق يتصبب وبعض الأيادى؛ بل إن بعض المقاتلين، من تأثير الخوف الشديد قد بدأوا يتحركون ويتعاملون مع الأسلحة وأجهزة الدبابة بدون وعى وقد أدت هذه التصرفات إلى تكرار الأوامر والتوجيهات وظهور العصبية وانفلات اللسان لقد كان الموت يحوم حول الجميع ويصيب الطرفين. . . وتصاعدت الأحداث. . . وفجأة بدأ العدو فى عمل ستارة الدخان والارتداد. . . فقد أصبحت خسائر كبيرة وغير مقبولة. . . إنه يخاف على أرواح جنوده دائما بمبالغة وحرص شديد وبمجرد احساسه بأن خسائره قد أصبحت عالية فإنه كان ينسحب سريعا من المعركة. . .
ولقد أحس المقدم المهدى ببدء بوادر الانسحاب حتى قبل أن يبدأ العدو بتشغيل ستائر الدخان لذا فقد بدأ مبكرا بإعطاء تعليمات لمطاردة العدو وتكبيده أكبر خسائر ممكنة. . . وبدأ العدو فى سحب دباباته الأمامية بسرعة وأخذت دباباتنا

تتقدم بجرأة للأمام للالتحام بدباباته المنسحبة وارتفعت الروح المعنوية إلى عنان السماء بعد الضيق والكرب. . . وبدأت المعركة تأخذ شكلا جديدا. . . فدبابات العدو كانت قد أخذت تحاول الفرار فى إتجاه الشرق ودباباتنا تحاول تدميرها بالنيران وبالحركة من خلفها. . . وفجأة صدرت أوامر بإيقاف المطاردة وعودة دباباتنا لمناطقها الدفاعية. . .

تعجب عصمت لهذه الأوامر فإنها تعنى أن المهمة الأساسية قد ألغيت بالرغم من النجاح الفائق الذى تحقق...

وأخذ يسأل نفسه ما هو السبب الحقيقى لإلغاء المهمة أمن أجل أن المهمة قد تحققت بواسطة الطيران فى تدمير مركز قيادة العدو ولا داعى للوصول بالدبابات إلى أعماق العدو؟ أم أن هناك أسبابا أخرى لا يعلمها؟ إن القادة الأصاغر فى المعركة لا يعلمون إلا القليل فالمثل العسكرى يقول : «المعرفة على قدر الحاجة»!!!

رجعت الدبابات إلى حفرها السابقة فى عمق

الدفاعات وأخذ الجنود يفردون شباك التمويه عليها حتى لا تظهر لطائرات العدو وأخذ عصمت يمر على أفراد سريته لمعرفة الخسائر الحقيقية ورفع الروح المعنوية فكثيرا ما كان الضابط أو الجندى يصاب ولا يبلغ عن إصابته ساخرا منها بالرغم من أنها قد تكون إصابة متوسطة لقد توحش الرجال وأصبحوا لايبالون بأشياء كثيرة وهنا يظهر الإهمال بينما أخذ عصمت يمر بين الدبابات مداعبا جنوده ذاكرا دقة ادائهم وحسن بلائهم بالمعركة ساخرا من البعض ومشجعا للبعض الآخر.

لقد كان يقابلُ وجوها ضاحكة أحيانا ووجوها مكتئبة مرعوبة وقد كانت تلك الوجوه مصدر سخريته دائما.

لقد كان عصمت فى ذلك الوقت صغير السن قليل التجربة فلم يستطع أن يميز بأن أعصاب الإنسان وقدرته على تحمل الضغوط النفسية والمادية تختلف من إنسان لآخر بل إن الظروف البيئية والأسرية المحيطة بالشخص نفسه تلعب دورا كبيرا فى مدى تماسك الشخص وقدرته على

ضبط النفس ولكن عصمت كان يضع نفسه وحدها كمقياس للتحمل والتماسك وياله من مقياس خاطىء **فهو شجاع بالغريزة قد تربى فى أسرة عسكرية منضبطة فوالده وكذا إخوته كلهم من الضباط وينحدرون كمعظم المصريين من أصل عربى صعيدى يؤمنون بالقول المأثور "إن حقك دائما يجب أن تأخذه بيدك".**

ولكن فى الحقيقة وبالرغم من سخرية عصمت بالبعض إلا أنه بفكاهته المرحة كان يهدف إلى التسريه وتخفيف الأمر على هؤلاء الأشخاص المتشنجين[1] من تأثير القتال... إنه فى الواقع كان يخلق هذا الجو المرح المألوف، بالحياة العادية والذى يشعر فيه الشخص بالثقة والإطمئنان إلى كل ما هو حوله.

تذكر عصمت بعد بضع ساعات من الراحة أنه كان قد نسى نظارته الشمسية على إحدى التباب قبل نشوب المعركة مباشرة فقد كان خلع نظارته الشمسية ووضعها على الأرض وأخذ يبحث عن العدو بنظارة الميدان وفى النهاية نسى

(١) يريد المنبهرين المأخوذين شيئا ما.

نظارته الشمسية لقد كانت هذه النظارة عزيزة عليه لأنها هدية من والده عند نجاحه فى الإعدادية ولكن المشكلة أن النظارة قد تركت فى منطقة خطرة؛ فى المنطقة الحرام بيننا وبين العدو لقد كانت خارج أرضنا بمسافة ثلاثة كيلومترات. . . ومع ذلك فقد أصر عصمت على إحضار نظارته ليس فقط لأنها عزيزة عليه بل لأنه يشعر بدافع غريب للتحرك فى إتجاهها والحصول عليها. **ولقد استغرب الزملاء عندما رأوه يجهز نفسه ببندقية آلية وقاذف صاروخى واتهمه البعض بأنه يستعرض شجاعته...** وأخذ عصمت ينادى على رفيقا له فى هذه الرحلة غير المأمونة فاستجاب له رقيب من الصاعقة يدعى محمداً يماثله فى الجسارة والجرأة.

وبدأت رحلة السير فى اتجاه تلك التبة ولكن بحذر شديد حتى لا يقعا فى أحد كمائن الدبابات التى ربما تظهر لهم فجأة فهناك عربات ودبابات ومعدات مدمرة تماما بل إن بعضها لا تزال تنبعث منه أدخنة وباقترابهما أكثر بدأ فى تمييز الجثث **واستمر عصمت فى التحرك فى إتجاه تلك**

التبة المنشودة ولكن بمزيد من الحذر وسرعان ما اعتلى التبة صاعدا مستخدما ذراعيه ورجليه وفور وصوله لأعلى التبة وجد النظارة سليمة وعليها أتربة كثيفة فأحس بالسعادة الغامرة لحصوله عليها مرة أخرى وقد تنازل لا شعوريا عن حذره ووقف شامخا ناظرا فى اتجاه العدو وأخذ عصمت ينظر يمينا ويسارا يفحص بدقه ميدان المعركة الذى كان يقاتل فيه منذ بضع ساعات لقد كان هناك حافز غريب يدفعه للاستطلاع والاكتشاف فأخذ الدبابات والعربات والأسلحة المدمرة ويحاول معرفة أسباب تدميرها نتيجة سوء استخدامها للأرض ثم أخذ يفحص الجثث المصابة . . . وقد استغرق وقتا ليس بالقليل لفحص ما يريده وانتبه لنفسه أخيرا بعد أن صاح فيه الرقيب محمد قائلا أعتقد يا أفندم أنه قد حان الوقت للرجوع . . . خاصة وأن الشمس فى طريقها للغروب . . . فأجابه عصمت : . . . صح ![1] فلنرجع . . .

(١) هى صُحّ.. والمراد نعم.. وكلاهما صحيح.. معجم مرشد الأريب.

ولكن علينا أن نغير الطريق فأنا أفضل دائما أن أرى الجديد وجذب عصمت من جيبه بوصلة ورصد الزاوية التى سيسيرون عليها فقد كانت الشمس فى أوان غروبها وهناك احتمال أن المسافة الأخيرة فى السير؛فى الظلام وَقْفٌ على مدى لياقتهم البدنية فى السير... ثم سأل عصمت الرقيب محمد عن كلمة السر اليوم وكذا كلمة المرور فأجابه محمد بها وليس هذا السؤال لأن عصمت لا يعلمها بل لأنه يريد أن يتأكد منها لأن حياته وحياة زميله تعتمدان على هاتين الكلمتين اللتين بهما سيدخلان إلى المواقع المصرية ليلا. واستمر فى السير بحماس فى طريق العودة الجديد...

وفجأة وأثناء سيرهما بجانب دبابة اسرائيلية مدمرة انبعث منها صوت صائح: النجدة... النجدة... فأرسل عصمت إشارة صامتة بيده للرقيب محمد للرقود على الأرض وانبطح سريعا على الأرض فربما كان مصدر الصوت عدو رابض فى كمين... ولكن الصوت تكرر ثانيا... ولكن فى خفوت وأنين من الألم... ولكن لم

يستطع تمييز الشخص الموجود أسفل الدبابة فأمر الرقيب محمد بالثبات فى مكانه[1] واتخاذ ساتر لحمايته عند اقترابه من الدبابة وأخذ عصمت يزحف فى إتجاه مصدر الصوت حتى حان اقترابه منه على بعض أمتار وفى هذه الأثناء أمكن تمييزه[2] لرجل ممدود بين عجل بوجيه الدبابة فوجه عصمت بندقيته فى اتجاه ذلك الرجل وصاح بحذر من أسفل الدبابة أمصرى أم اسرائيلى فأجابه. . . مصرى والله العظيم ! مصرى. . . ثم بدا له أن يختبره

فسأله بحذر ليتأكد من أنه مصرى: المباراة التى كانت بين الأهلى والزمالك الشهر الماضى ما هى نتيجتها فأجابهُ لم يكن فى الشهر الماضى أية مبارة بين الأهلى والزمالك. . . وهنا تأكد عصمت من أن الجندى مصرى. . . **ثم طلب منه عصمت أن يخرج من أسفل الدبابة فرد عليه بأنه مصاب منذ ثلاثة أيام فى رجله وأن**

(١) بقولك: اثبت محلك. . ريثما يتحقق.

(٢) أى أنه شاهده بوضوح وتبينه.

رجله تعوقه عن الحركة وأنه كان قد زحف عندما أصيب؛ إلى أسفل الدبابة حتى يستظل بظلها ثم أصيب بإغماءة وعند إفاقته وجد وحدته قد غادرت المنطقة بعد قتالها فترك هكذا وترك لمدة ثلاثة أيام بلا مأوى أو تعيين سوى قليل من المياه فى زمزميته... فزحف عصمت أسفل الدبابة بعد أن نادى الرقيب محمداً لمعاونته وأخذا يجذبان هذا الجندى المصاب من أسفل الدبابة حتى أخرجاه حيث كان فى حالة من الإرهاق والتعب لا حد لها وكانت «الرغاوى»[١] تتساقط من جانبى فمه وقدرُئى مغلقاً كلتا عينيه لأنه لم يستطع تحمل ضوء الشمس عند تعرضه له لقد كان فى حالة يرثى لها أو فى الواقع كان على شفا الموت[٢] فأخذا

(١) الزبد.. اللعاب.

(٢) وفى الواقعُ بمجرد خروج الجندى المصاب من أسفل الدبابة فإنه قد طلب من عصمت أن يشرب ماءاً من الزمزمية التى معه... ولكن عصمت أمره أن يشرب المياه رويداً رويداً حيث إنه لو شرب المياه دفعة واحدة لهلك... فقام عصمت بتبليل فمه بالمياه بإستخدام غطاء فتحة الزمزمية الصغير وشفا الموت (حافته).. المؤلف

يحاولان إيقافه ولكن رجله المصابة كانت متيبسة ولا تعمل (حيث كانت مصابة بثلاث طلقات) **وفى النهاية جعلاه يقف بينهما واضعاً ذراعاً على كتف عصمت والأخرى على كتف الرقيب محمد وأخذا يجذبانه فى هذا الوضع لمسافة تقدر بأكثر من ثلاثة كيلو مترات فى حوالى أربع ساعات إلى المواقع المصرية...**

وبمرور السنين كان عصمت عندما يتذكرهذه الواقعة فإنه يتعجب لشدة تهوره واندفاعه لإحضار شيء قد لا يستحق كل هذا العناء ألاَ وهى تلك النظارة اللعينة والتى فقدها مرة أخرى بعد هذه الحادثة بأشهر ولكنه فهم حكمة الله فى ذلك. . .





جميع محطات فهد... تقدم الآن... السائق هل سمعتنى... نعم يا أفندم... تقدم الآن...

وبهذا تحركت دبابات عصمت للأمام فى شكل رتل لتنفيذ المهمة الجديدة ثم تحرك عصمت ليجلس بأعلى فتحة القائد بالدبابة ليراقب تحرك الدبابات وقد غمره شعور مزدوج من الفخر والثقة مع الشعور بعدم الإطمئنان واحتمال مقابلة ظروف غير سارة وكان هذا الشعور المتباين له مبعثان فالشعور الأول كان مبعثه أنه قد اختير لقيادة مجموعة قتالية أكبر من مستواه بل إن هذا الإختيار قد تعدى ضابطين أكبر منه رتبة أما الشعور الآخر فمبعثه أنه يتحرك الآن ضمن ٣ مجموعات قتالية يرأس إحداها لاغلاق ثغرة قيل إن العدو قد نجح فى إنشائها على ضفة

القناة فى جزء من الجانب الشرقى للبحيرات المرة. . . وكان الغريب فى الأمر أنه يتحرك لأول مرة لا يعلم بالتحديد أين موضع العدو الذى أمامه وما هو حجمه وقوته والأخطر من ذلك أن الأرض التى سيتم التحرك عليها أرض مفتوحة يسهل عمل طيران العدو بها علاوة على صعوبة الاستتار بها لقد كان فحصه للخريطة ودراسته للأرض التى سيتحرك عليها مستقبلاً كان محبطاً للآمال ومقلقا وكان يدعو الله أن لا يقابل العدو فى هذه المنطقة الصعبة التى لا تلائم قتال الدبابات وفى نفس الوقت أخذ عصمت يفكر كيف قرر قادته إتخاذ هذا القرار الصعب فلا بد أن هناك حاجة شديدة قد أدت إلى اتخاذه. . . **فالقادة يريدون المعرفة كما أنهم يتطلعون إلى الحصول على المعلومات على وجه السرعة**... يريدون أن يعرفوا حدود الثغرة. . . وقوة القوات التى نجحت فى التسلل وحجم هذه القوات. . . وما هى أهداف القوات التى تسللت. . . وللحصول على هذه

المعلومات بسرعة فقد وجب القتال. . . وقد اختيرت هذه المجموعات القتالية الثلاث من أجل ذلك الغرض.

* * * * * *

فتحت أبواب الجحيم! هكذا قال عصمت عندما رأى ما رأى فقد حدثت مفاجأة... بأن بدأت انفجارات متتالية فوق رؤسهم من تأثير ضرب المدفعية الكثيف وفى نفس الوقت انطلقت عشرات القذائف الموجهة (الصواريخ المضادة للدبابات) من الجانب الأيمن على مجموعات القتال الثلاث وبدأت الانفجارات فى كل مكان وبدأت الخسائر تقع... حاول عصمت تمييز واكتشاف العدو بالعين المجردة ولكنه أخفق. . . ثم وضع نظارة الميدان وحاول إعادة اكتشاف مصادر النيران وخاصة الصواريخ التى تطلق عليه ولكنه أخفق أيضا وخاصة فى الظروف الصعبة التى كان يمر هو بها. . . لقد كان موقف مجموعته صعبا للغاية فها هو العدو قد نجح فى مفاجأته فى أرض صعبة للغاية تصلح

لعمل كمائن ومن الواضح أن العدو كان قد احتل هذه الأرض منذ فترة وجهزها تجهيزاً جيداً حيث إنه أخفق فى تمييز مكان أسلحته ووسائل نيرانه ومما زاد الأمر خطورة أنه كان يستخدم تلك الصواريخ الموجهة الأمريكية الصنع التى تقذف من مسافة بعيدة والتى يمكن إخفاؤها بسهولة. . .

نظر عصمت فى الأرض حول دباباته التى توقفت وحاولت الاشتباك مع العدو ولكنه وجد صعوبة كبيرة فى تمييزها فوجد بعض التباب الصغيرة التى يمكن أن تعطى حماية نسبية... وهنا أصدر أمره باللاسلكى قائلا:

جميع محطات فهد ٣ أوقف الضرب واستتر الآن بالتبات المحيطة. . . لا يتم الضرب إلا بعد تمييز العدو جيداً. . . انتهى معكم.

وهنا بدأت الدبابات فى التحرك السريع والاستتار وأخذ يلاحظ المجموعات التى أمامه وعرف أنها فى موقف أسوأ من موقفه. . .

انتهت دبابات عصمت من الاستتار والاختباء وخمدت الحركة تماماً ولكن قذائف اللهب والنيران أخذت تستمر حول الدبابات وإن كانت الخسائر طفيفة وأدرك عصمت من ملاحظته واستطلاعه أنه قد حوصر تماماً فعلى جانبه الأيسر حقل ألغام وقناة السويس وعلى جانبه الأيمن العدو فى أماكن جيدة التجهيز بل والأخطر من هذا أن اتجاه الجنوب الذى جاء منه قد أُقفل أيضاً بمعرفة العدو بدباباته وعرباته المدرعة بأعداد كبيرة أما فى اتجاه الشمال فتوجد المجموعتان القتاليتان الأخريان اللتان هما فى حالة الفوضى التى عمت قد عملت على قطع الاتصال بينه وبين قائد المجموعات الثلاث. . .

لقد كان قراره الحالى... هو الانتظار حتى يصبح الموقف أكثر وضوحاً. . . أخذ عصمت يحاول أكتشاف أماكن العدو المخفاة ولقد لاحظ أن الصواريخ تطلق من مناطق مليئة بالكدى والحشائش وأنه لا يمكن تحديد مكانها

لصغر حجمها ولبعد المسافة. . .

وفجأة وجد يداً تربت على كتفيه وهو داخل الدبابة فنظر ليعرف من يربت على كتفيه فوجد الملازم أول محسن يقول له لو سمحت يا أفندم لقد أخذت دبابتى هواءًا بدورة الوقود

وتوقفت الماكينة عن العمل ولم يستطع السائق أخذ الهواء بالطريقة العادية. . . فصاح فيه عصمت لماذا لم يأخذ السائق الهواء من الماكينة من الخلف فرد الضابط أن السائق الأصلى قد أستشهد وأن السائق الحالى مستجد فقال عصمت تعال خذ مكانى وسأذهب أنا إلى دبابتك لإصلاحها إنها تحتاج فقط لعشر دقائق للإصلاح. . . وقفز عصمت تاركاً دبابته إلى دبابة الضابط محسن فقد قرر أن يقضى الوقت المتجمد فى إصلاح الدبابة حيث إنه بدون إصلاح هذه الدبابة فسيضطر إلى تركها إذا تحرك فجأة. . . وكان هناك سبب آخر هو أنه أثناء محاولته لأكتشاف أماكن العدو والإشراف على أوضاع استتار دباباته قد وجد نفسه

يعض لسانه ثلاث مرات محدثاً ألماً شديداً به وكان هذا الوضع أول مرة يحدث له فى حياته حتى إنه قال ساخراً متشائماً إنى أحس بأن عزرائيل فى الدبابة وفى الواقع كان ملاك الموت فى الدبابة وينتظر الوقت المعلوم لحصد الرؤوس وتنفيذ مهمته

* * * * * *

انتهى عصمت من إصلاح الدبابة ثم قفز من على ظهر ماكينة الدبابة للأرض سائراً فى اتجاه دبابته ولكنه لم يجدها فى مكانها بل وجد على بعد ٢٠٠ متر دبابة محترقة تماماً وقد قذف ببرجها بجانبها ويتصاعد منها دخان قليل... وأمام هذا الموقف فقد اضطر للرجوع للدبابة التى أصلحها ودخل على الشبكة اللاسلكية وأخذ ينادى باللاسلكى لمعرفة حجم الخسائر بقواته وأخيراً تأكد من أن الدبابة المحترقة هى دبابته وقد استشهد الطاقم بالكامل حيث تحركت الدبابة من خلف الساتر بسبب لا يعلمه إلا الله . . .

أحس عصمت بأن عليه أن يعيد تقييم الموقف بالكامل فها هى مجموعته قد تكبدت خسائر ليست بالقليلة وكذا المجموعتان الأخْريان والإتصال مقطوع بينه وبين قائده. . . وبين قادة المجموعات. . . ولو أنه أستمر فى هذا الموقف مدة طويلة لأنتهت مجموعته خاصة وأنه الآن عاجز عن مواصلة التقدم والخروج من خلف التبات فى إتجاه محور

تقدمه الأصلى فالعدو قد دفع بحشد هائل من الأسلحة ووسائل النيران من حوله من كل جانب والجانب الوحيد الخالى من العدو هو الجانب الأيسر الذى زرع به حقل ألغام ثم بعدهُ تقع قناة السويس (البحيرات المرة) والذى يعتبر هو العائق المائى للدبابات...

وهنا اهتدى للحل الأمثل من وجهة نظره هو. . . وهو أن عليه أن يقوم بهجوم انتحارى سريع على جانبه الأيمن لاختراق العدو بسرعة ومهما تكبد من خسائر فيكون بهذا قد أنجز شيئاً ودمر جزءاً من العدو وحتى ولو استشهد فقد

استشهد بشرف يليق به. . .

ثم فكر عصمت فى أنه يجب أن يكون اتجاه الهجوم والوصول هو النقطة القوية «بكبريت» التى تقع على مسافة بضعة كيلو مترات فى عكس اتجاه مهمته الأصلية ويجب أن يخبر جميع قادة دباباته بذلك فقد يصل معظمهم أو بعضهم وقد لا يصل هو. . . وقد يصل هو ويحاكم بعقوبة الإعدام رمياً بالرصاص لأنه لم يحقق مهمته الأصلية. . . ويبدو من الظاهر أنه قد أنسحب. . .

نداء، جميع دبابات فهد ٣. . . إهجم الآن. . سأعيد: أهجمُ الآن أذكركم بالهجوم بأقصى سرعة **فليس المهم تدمير العدو إنما المهم سرعة اختراقه والعبور من المنطقة الخطرة... فصيلة دبابات اليسار أطلق الدخان بدباباتك لإخفاء أوضاع الدبابات... بارك الله فيكم... لا** تنسوا نقطة الوصول كبريت. . . سأعيد: نقطة الوصول كبريت. . . انتهى. . .

اندفع عصمت داخل دبابته مقفلاً فتحته بعد أن أنتهى من إرسال الإشارة اللاسلكية السابقة. . . وأمر سائقهُ بزيادة السرعة لأقصى حد ممكن وأخذ طريق التقدم فى حركة زجزاجية لتفادى الصواريخ وما هى إلا دقيقة واحدة حتى كان مندفعاً أمام باقى دباباته بأكثر من ١٠٠ متر حيث إنه أراد أن يظهر ثقته بهذا القرار أمام قادته المروؤسين **وبعد تقدمه لمدة ٥ دقائق أمكنه تمييز دبابتين للعدو فى حفر ضرب نار وكذا ٣ عربات مجنزرة حيث قام سريعاً بتوزيع مهمام نيرانه على دبابابته وقد لاحظ أثناء هجومه أنه قد فقد دبابتين بسبب تلك الصواريخ الأمريكية اللعينة...**

ولم تمر دقيقتان إلاّ وقد نجح فى تدمير الدبابتين وعربة مجنزرة وقد هربت العربتان الأخريان! لقد شجعه ذلك على سرعة اختراق العدو وزيادة سرعة الدبابات لأقصى حد لأنه بذلك يكون قد أحسن التصرف إنه حقا على وشك النجاح.

ولكن فجأة فوجىء بإضاءة شديدة ورجّة شديدة بداخل الدبابة ثم إظلام تام لقد أحس بأن عينيه لا تريان بعد الإضاءة الشديدة التى حدثت. . . (وفى الواقع فقد أصيب بعمى مؤقت) فمد يده بطريقة غريزية إلى يد البيرسكوب وجذب نفسه إلى خارج الدبابة صائحاً فى طاقمه بسرعة الخروج ثم قفز هو من فوق ظهر دبابته فوقع على الأرض وأخذ يزحف بعيداً عن الدبابة وهو معطل العينين ثم توقف وأخذ يفكر فى الموقف لقد استنتج أن صاروخاً موجها قد أخترق دبابته... ثم فتح عينيه أخيراً لأختبارهما فَسُرَّ لوضوح المعالم مرة أخرى فحمد الله على ذلك... وكانت تلك هى المرة الثانية التى تدمر فيها دبابته ولكن تلك المرة لم ينج أحد سواه... أخذ عصمت يراقب هجوم دباباته وهو منحن مطرق إلى الأرض أسفاً لعدم مشاركته فى هذا الهجوم لقد كان هجوماً شجاعاً من دباباته هجوماً يدعو للفخر فقد أخذت دباباته تخترق العدو

بسرعة عالية قاذفة للنيران بأعلى معدل كالأسود التى تهاجم فريسة بعد جوع طويل الأمد قد استبدبها.

وبالطبع لم يحس أحد بتدمير دبابة قائدهم فالاشتباك مع العدو وتفادى الصواريخ كان هو محور الأهتمام الأساسى.

وأخيراً وجد عصمت أن دباباته قد نجحت فى إختراق العدو تاركة خلفها سحابة عظيمة من الأتربة فى إتجاه «كبريت» لقد أحس مرة أخرى بشعور الفخر وذلك لأن قادته الأصاغر قد نجحوا فى تنفيذ المهمة التى كلفهم بها بالرغم من عدم وجوده وبالرغم من قوة العدو وموقفها الجيد [١]...

أخذ عصمت يصيح فى جميع الجنود الذين قد دمرت دباباتهم وأمرهم بالتحرك من خلفه... وأخذ يتحرك سيرا على الأقدام فى إتجاه حقل الألغام وقناة السويس لأنها

---

(١) (فى الواقع فقد تكبدت هذه المجموعة خسائر تصل إلى ٥٠٪ ولكن أنضمامها إلى قوة كبريت كان من الأسباب الرئيسية لتماسك قوة نقطة كبريت التى حوصرت وصمدت لثلاثة شهور ولم تستلم).. المؤلف.

المنطقة الوحيدة التى ليس بها عدو وأثناء تحركه وجد ضابطا من المشاة أسمه طارق خورشيد يتحرك ومعه بعض الجنود فقد دمرت عربته المدرعة حيث تمكن هو وبعض جنوده من النجاة. . . فانضما بعضهما للبعض **وتحرك عصمت على رأس المجموعة الغريبة التكوين... وفى ذلك الوقت كان اهتمام العدو مُنْصَبّاً على القتال مع الأسلحة والمعدات** الكبيرة... تحرك عصمت سيراً على الأقدام ثم أمر الجميع بالجرى من خلفه ثم أخذ يجرى فى اتجاه حقل الألغام وكذا فعل الآخرون و عند وصوله لمسافة من ٢٠٠ ـ ٣٠٠ متر من ضفة القناة أمر عصمت الجميع بالتوقف والرقود حتى يتم فتح ثغرة فى حقل الألغام. . . واندفع عصمت زاحفاً ممسكا بسنكى بندقيته ليجس ويغرس سُنْكيِّه فى الأرض باحثاً عن الألغام! وفجأة وجد عصمت دفعة من نيران رشاشات العدو الثقيلة تتناثر من حوله هو و مجموعته. . فجمد فى مكانه تماماً وحاول تحديد مصدر النيران. . . إذن

فالعدو قد رصده ! وأخذ العرق يتصبب من جميع أنحاء جسمه فقد أحس بأنه فى موقف جديد عليه يحيط به الخطر من كل جانب وهو لأول مرة يقاتل بدون دبابته فالموت أسفله ممثل فى الألغام وحوله ممثل فى نيران العدو. . . وثم ثم كان عليه أن يسبح عدة كيلو مترات فى البحيرات المرة لينجو بنفسه وبمن معه لقد كان موقفاً ميئوساً منه ولكن ليس مع عصمت فهو بطبيعته النشطة الدؤبة وأسلوب تربيته لا يعرف اليأس. . . **ولكن فجأة أصيب أحد الجنود بالإنهيار العصبى حيث قام واقفاً وأخذ يجرى داخل حقل الألغام... وأخذ عصمت يصيح فيه بالتوقف وينذره ولكن الجندى أخذ يجرى لمسافة لا تقل عن ٢٠٠ متر أو أكثر ثم فجأة انفجر لغم به وبالتأثير فقد انفجر أكثر من لغم آخر... وطار جسمه أشلاء [١] مبعثرة فى جميع الأنحاء بين الأتربة المتصاعدة واللهب المنبعث من انفجار الألغام...** لقد كان

---

(١) ج شِلْو. . أجزاءً وقطعا رحمه الله.

موقفاً مأساوياً فاجعا. . . ولكن من الموت تنبعث الحياة وينبثُّ الأمل فقد تمكن هذا الشهيد من فتح حقل الألغام لباقى المجموعة وبهذا فقد حلت أولى العقبات. . . فوقف عصمت شامخاً بعد رقوده وزحفه وأخذ يفحص أين يوجد العدو الذى يطلق النيران. . . حيث إنه كان برقوده هذا لم تتح له الفرصة لأكتشاف موقع العدو وسرعان ما ميز عصمت عربتين مدرعتين أمريكيتين الصنع م ١١٣ مركب عليها رشاشان ثقيلان. . . **فجذب عصمت بندقيته الآلية من خلف ظهره وأخذ يطلق النيران فى إتجاههما وشجعه على ذلك أن العربتين كانتا على مسافة من ٢٠٠ ـ ٣٠٠ متر منه...** ثم وجد أن هناك من يساعده فى الرمى أيضا، فنظر فوجد الضابط طارق خورشيد قد انتصب واقفا أيضا وأخذ يشتبك مع العربتين ثم وجد جميع الجنود وعددهم سبعة قد وقفوا جميعاً و قد أخذوا يفتحون نيران بنادقهم بثقة على العربتين وكان أغرب تصرف من العربتين المدرعتين الإسرائيليتين والذى لم يفهمه عصمت هو أن رَامِىْ

الرشاشات الثقيلة كانا قد هبطا داخل عربتيهما ثم أطلقت العربتان المدرعتان الدخان. . . وانسحبتا سريعاً من المعركة فسأل عصمت نفسه كيف يحدث هذا! **لقد كانوا فى موقف قوى فهم يقاتلون من داخل الدروع ومعهم رشاشات ثقيلة أما هو ومجموعته فيقاتلون بدون سواتر وفى وضع ميئوس منه... ثم انتبه لقول طارق خورشيد ياالهم من جبناء**[1]... لم أكن أتصور أنهم يفرون هكذا وكل هذه الأسلحة معهم!. . . فقال عصمت فأحمد الله رَبَّنا أنهم جبناء وأجمع جنودك الآن وسيطر عليهم لكى نستطيع عبور حقل الألغام بسلام. . . .

* * * * * *

نجح عصمت ومن معه فى عبور حقل الألغام بسلام

(١) صدق الله العظيم: ﴿**لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصّنة أو من وراء جدر**﴾ [الحشر: ١٤] وقال تعالى: ﴿ **وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب**﴾ [الأحزاب: ٢٦]. . الكشاف المبتكر. . ومفتاح الآيات والسور للخيارى.

بعد أن فُتِحَ بجسم الشهيد وبقيت مساحة صغيرة أمكن لعصمت وطارق خورشيد تفتيشها بدقة كما أمكن لهم معرفة أماكن الألغام الباقية وتعليمها لتفاديها بمعرفة باقى المجموعة. . . ووصلت المجموعة إلى ضفة قناة السويس فسأل عصمت الجنود عمن يجيد منهم السباحة . . . **ومن يستطيع أن يعوم ٤ كيلو مترات متواصلة فلم يجب أحد غير طارق خورشيد وهنا قال عصمت إذن سنسبح أنا وطارق حتى الضفة الأخرى للقناة وبوصولى سأحاول** إحضار مركب لإنقاذكم به ولكن عليكم الآن أن تجلسوا فى مكان مأمون وتقوموا بجمع أكبر عدد من الجنود المفقودين وأن تقوموا بعمل هرم من الحجارة بإرتفاع مترين بجانب المياه حتى يمكن تمييزكم عند بحثى عنكم خاصة وأن الليل على وشك الوصول. . . إنى أحذركم لا تضيئوا أية إضاءة ولا تتحدثوا إلا بصوت هامس. . . إننى أتوقع أن أصل إليكم فى نهاية الليل مع بدء النهار هل من أسئلة؟؟؟ . . .

فلم يردَّ أحد فقال عصمت: حسنٌ ! فمن هو أقدم رتبة هنا؟فأجاب أحد الرقباء أنا يا أفندم. . . فأجابه عصمت إذن فتولّ أنت المسئولية بارك الله فيك. . .

قفز عصمت وطارقُ إلى المياه سابحين بجوار بعضهما البعض أما جنودهم ففى عيونهم الشفقة على ضباطهم ومصيرهم المجهول المرتبط بمدى قدرتهم على السباحة النهارية ـ الليلية... ومدى إمكانية إفلاتهم من نظر العدو...
أخذ عصمت يسبح ويتكلم مع طارق. . . ثم بدأ التعب يهاجمه فتوقف عن الكلام. . . ثم أخذ الظلام يسيطر على المكان تدريجياً وبدأ عصمت يخاف من عدو جديد لم يكن يعمل له حساباً أرشدهُ إليه عقله ألا وهو. . أسماك القرش فقد تذكر عصمت أن قناة السويس مغلقة منذ سنوات وأن أسماك القرش تغدو وتروح فى القناة والبحيرات بحرِّيّة. . .
ومما قد زاد الطين بلة أنه كان قد فقد الصحبة الجميلة مع طارق فبهبوط الظلام وعدم الكلام انفصل كل منهما عن

الآخر وأخذ عقله يصور له المخاوف والمهالك من أنه سيؤكل من قبل إحدى أسماك القرش. . . لقد كانت كل لمعة فى المياه أو إنعكاس لضوء إيحاءًا له بأن هناك قرشاً على وشك أفتراسه! لقد عرف الآن العلاقة بين تفكير العقل وانحرافه وبين الأنهيار العصبى. . . وأخذ عصمت يحاول نسيان هذه الأمور مركزاً فى السباحة وفى إراحة نفسه أثناء السباحة. . . وأخذ يحس بأن قوته ونشاطه ينسأبان[1] من جسمه رويداً رويداً. . .

الظلام حالك وتصعب معرفة الإتجاه إلا بإستخدام النجوم فهو لا يستطيع تحديد أين تقع الضفة الغربية بدقة ولكنه يستطيع فقط تحديد إتجاه الغرب عامّة... إن التعب والإرهاق قد نالا منه تماما. . . ليس تعب السباحة فقط بل إنه كذلك تعب الأيام الخوالى تلك التى لم ينم فيها جيداً بسبب القتال المستمر. . . إنه يعلم أنه لو نام من التعب ولو

---

(١) المراد يزولان تدريجيا من الإرهاق.

دقيقة واحدة بإذن لكان فى ذلك هلاكه المحتوم وأخذ يسأل نفسَهُ عن المدة التى قضاها فى السباحة أهى ٥ أو ٦ ساعات أو أكثر لا يعلم إلا الله. . . فمنذ قفز فى القناة وقد توقفت ساعته تماماً لقد أحس أن الموت يقترب منه تدريجياً ويا لسخرية الموقف! أبعد كل هذا القتال والعبور من المهالك! أيموت غرقاً من التعب. . . لقد أحس أخيراً أن قوته قد خارت تماماً لقد امتنع عن السباحة **وجعل جسمه يطفو بعدم الحركة حوالى عشرين دقيقة ليسترد جزءاً من نشاطه ثم عدل وضعه للسباحة حيث أحس أنه يملك بعض القوة وبمجرد إنزال رجله لأسفل اصطدمت بالقاع فصاح فرحاً شكراً يا ربى لقد نجوت**... وأخذ يسير على سطح القاع حتى وصل للشاطىء المظلم تماماً ثم ارتمى على الأرض من شدة الجهد والإرهاق وما هى إلا ثوان حتى كان فى غيبوبة كاملة لا يعرف كم من الوقت استمرت. . . ولكنه يعرف أن الشمس الساطعة قد أيقظته إذ تحرك سريعاً ليعرف أين هو وحيث قابل بعض الجنود الذين يعملون كجنود مؤخرة

لوحداتهم فسألهم عن وجود أى قارب بالمنطقة فدلوه على قارب بل إن بعضهم قد رجعوا معه على ظهر القارب لمساعدته فى إحضار الجنود المحتمين بالضفة الأخرى وبذلك كتب الله لهم النجاة وأنتهت بالنسبة لعصمت ملحمة بداية الثغرة التى كان هو طرفا فيها والتى حدثت نتيجة لنقص المعلومات الهائلة عن العدو من حيث الإمكانيات التكنولوجية الهائلة التى وضعت فى يد العدو من أقمار صناعية وأسلحة ومعدات متطورة. **وجسر جوى عظيم لم يسبق تجهيز مثله[1] من قبل فى التاريخ، لإمداد إسرائيل بالأسلحة والمعدات تعويضا عن خسائر عالية قد تكبدتها... وبمعرفة دولة عظمى ألا وهى الولايات المتحدة الأمريكية!!...**

❁❁❁❁❁

(١) أى لم يسبق له مثل.. المؤلف.



الفصل السابع

وقف عصمت على طريق الإسْفَلْتِىّ المؤدى للقاهرة وهو بملابس الميدان حاملا بندقيته الآلية التى لم تفارقه قط، ومعلقا مسدسه إلى جانبه الأيسر ومعه اثنا عَشَرَ فردًا من الصف والجنود. . لقد أُمر بأن يسافر إلى القاهرة ومعه هذه المجموعة لإحضار دبابات قد تم إصلاحها وحيث إن كل عربة بوحدته كانت مشتركة فى القتال الفعلى ولها دورها فعليه إذن أن يتصرف ويركب أى عربة ذاهبة للقاهرة سواء أكانت عسكرية أو مدنية. . . لقد انتظر كثيراً و قال لنفسه ضاحكا: يا لها من مهمة صعبة. . **وفجأة شاهد طائرتين إسرائيليتين تطيران على ارتفاع عال ثم تلقيان بحمولتهما من القنابل على مؤخرات الجيش المصرى تلك المؤخرات التى لا يُوجد بها أى عتاد أو حتى أفراد... إنهم يريدون الإزعاج! بل إنه من الواضح... أن الرعب قد تملكهم فهم**

لا يستطيعون الآن الطيران المنخفض... وبالرغم من ذلك فقد أمر عصمت جنوده بالاستعداد لفتح نيران البنادق إذا ما هبطت الطائرات للارتفاع المنخفض. . . وفى أثناء ذلك وجد عصمت عربة لورى تجرى بسرعة جنونية تتحرك لليمين واليسار حتى إن أحد الجنود قال لعصمت لابد أن سائق هذه العربة مخمور. . أخذت العربة تقترب وعرف عصمت أنها عربة محملة بالبطيخ وعند وصولها إلى عصمت ومجموعته توقفت فجأة وهبط منها سائق كان قد أصابه الرعب وأخذ يصيح: الإسرائيليون يريدون قتلى. يريدون قتلى. . . لقد كان يريد أن يحتمى بهم.

... ضحك عصمت من الحالة التى كان عليها ذلك السائق وخاصة أنه كان يبكى. . . **وقال له بثقة: لا يستطيع أحد قتلك إننى معك وهؤلاء الأبطال أيضاً.. وإذا حاولت أيه طائرة الأقتراب منك سأُسقطها بهذه وربت على بندقيته... أمام هذه الثقة وأمام ضحك الجنود... تمالك**

السائق نفسه وأحس بالخجل خاصة وأنه يقف أمام رجال فى سِنّه ولكنهم مقاتلون، ثم صاح عصمت فيه إلى أين أنت ذاهب؟ فأجابه إلى القاهرة! فرد عليه يمكنك أخذنا معك؟ فأجابه السائق سعيداً: بالطبع! حتى ولو أُضطررت إلى تفريغ حمولتى كاملة من أجلكم... فرد عصمت لا داعى لذلك ويمكن للجنود الجلوس على أجناب العربة وعلى البطيخ... ركب عصمت بجانب السائق فى مقدمة العربة حيث صاح السائق فى الجنود من يريد أن يأكل البطيخ فليأكل إنه لكم حتى لو أكلتموه كله فضحك عصمت شاكراً إياه على روحه الطيبة وهجم الجنود على البطيخ يأكلون حتى ظهرت كروشهم...

أسند عصمت رأسه إلى زجاج نافذة العربة وهو يبتسم بينما راح يفكر فى هذا السائق الخائف وما هو الفرق بينهما ألم يكن من الممكن أن يكون مثل هذا السائق!!.. ولم لا.. إن الفرق بينهما أنه كان قد تربى منذ الصِّغر على

الشجاعة والجرأة! ألم يعلمه والده الضابط كيف يستعمل المسدس وعمرهُ عشرة أعوام. . . ألم يعلمه السباحة وعمرهُ أربعة أعوام! ألم يعلمه ألا يشتكى وأن يأخذ حقه دائما بيده! ألم يعلمه أن حقه فى العراك والقتال مشروع مادام قد بنى على العدل وفى النهاية! ألم يصقله تعليمه بالكلية الحربية والخدمة بالقوات المسلحة!، إنه نتاج كل هذا. . .

أما هذا السائق فهو فلاح طيب قد أصبح سائقا وقد اعتاد على الحياة الهادئة ومنذ ساعات الفجر الأولى إلى المساء يذهب إلى حقله أو عمله ويعود سالماً بلا مخاطر وأخذ يتذكر مجىء الجنود المستجدين الذين كانوا على شاكله هذا السائق وكيف يتم تدريبهم وتطويعهم ليتحولوا إلى مقاتلين أبطال بمعرفة القوات المسلحة شأنهم فى ذلك شأن الجنود الذين يأكلون البطيخ الآن. . . ويالهم من جنود ذوى باع طويل ومشرف فى الشجاعة والإقدام وقوة التحمل والجلد. . .

سلم عصمت نفسه هو ومن معه من الجنود إلى قائد أحد المعسكرات الحربية التى كانت تقع فى مكان ما بشمال القاهرة تلك المعسكرات التى كانت قد أُنشئت بعد الحرب بغرض إعادة تنظيم وحدات جديدة بأسلحة ودبابات تم إصلاحها حيث أخطره قائد المعسكر بأن عليه الأنتظارَ لمدة ٤٨ ساعة ليتم بعدها تسليمه الدبابات والذخائر.. وأن عليه فى هذه المدة إعادة تنظيم الصف والجنود فى شكل أطقم قتالية سواء الصف أو الجنود الذين معه أو الجدد الذين سينضمون إليه ثم أُستأذن عصمت قائد المعسكر وقام بإيقاف إحدى سيارات الأجرة وذهب إلى منزل والده، وقبل دخول عمارة والده تطلع فوجده كالعادة جالساً فى بلكونة شقته يراقب الشارع ولكنه لم ير آبنَهُ... فدق عصمت جرس الباب حيث فتحت أمه وما أن رأته حتى وقفت مندهشة ثم عانقته... بحب وعطف ثم دخل البلكونة ونادى على أبيه الذى التفت ضاحكاً قائلا إيه[1] يا

(١ كقولك أى شىء هذا.. ماذا.

ولد! لماذا تطلق شعرك كالخنافس ثم أضاف قائلاً لقد سمعت من رئيس أركان لوائك العميد مصطفى أنك قاتلت قتال الأبطال لقد شرفتنا... ابتسم عصمت فى غبطة قائلاً ولكن أين قابلت العميد مصطفى فأجابه والده إننى علمت أنه أصيب فى الجبهة ونقل إلى المستشفى العسكرى بالمعادى فقمت بزيارته... لأشجعه فوجدته يتكلم عنك الكلام الكثير فأبتسم عصمت مرة أخرى مسروراً ونظر إلى أبيه الذى وخطه المشيب ذلك اللواء المتقاعد الذى لا يظهر حبه وعطفه على أولاده خشية - كما يعتقد - أن هذا يضعفهم - بحكم مهنته - وإن كان فى داخل قلبه يحمل إليهم أرق مشاعر الحب والعطف... إنه حتى لم يحتضن ولده أو يقبله... ولكن عصمت فى داخله يعلم معدن أبى ذلك الشيخ الذى كان قد اشترك فى حرب ١٩٤٨، ١٥٦،.. ذلك الوالد الذى غرس المثل العليا... وحب الوطن والفداء..

.. لقد كان مثالاً كاملاً للمواطن المصرى الصميم من الطبقة الوسطى الذى أعطى كل ثروته وجهده وحبه لأولاده وأسرته ووطنه. سأل عصمت أباه وأمه عن أخبار أخويه فأجابه بأنهما فى الجبهة ولكنهما بحالة جيدة... حتى الآن... ثم سأل عصمت أمه عن حالتها فأجابته بأنها تقرأ القرآن معظم الوقت وأدعو لكم ولمصر بالإنتصار... ثم إستأذن عصمت والده واقفاً وبدأ فى الإستعداد للمغادرة ولكن أباه استوقفه سائلاً ما أخبار الثغرة!!.. فرد عصمت قائلاً إننى من أول القوات التى حاولت إقفال الثغرة ولكن لم نوفق... ولكن الآن تم حصارها وإيقافها لقد أُستغل العدو وقف إطلاق النار وأخذ يوسع فيه مستغلاً حالة القوات القليلة المتواجدة بالثغرة فحاول أولاً عمل ثغرة فى اتجاه الاسماعيلية وبورسعيد حتى يمكن فصل هذا القطاع بسهولة ولكنه لم يفلح أمام القتال المستميت للقوات المتمركزة فى هذا القطاع فعدل عن هذه المغامرة وفصل

النزول جنوبا لعدم وجود قوات كافية من سرابيوم لفايد إلى السويس بل إنه قد غامر وحاول بغروره الدخول إلى مدينة السويس ولكنه دفع الثمن غالياً وهرب مذعوراً تاركاً المدينة بعد أن نجح لفترة قصيرة فى الدخول فى أحد أرحياء المدينة . . . **ولكن أعتقد الآن أننا نحاصره جيداً ويمكننا إهلاكه وتصفية جميع القوات داخل الثغرة بسهولة... فرد أبوه إن الأمريكان لن يسمحوا بتصفية الثغرة بل إننا لو حاولنا تصفية الثغرة لاشتركت الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل فى القتال إنهم لا يريدون نصراً حاسماً للجيش المصرى** إنهم يريدون أن تكون نتيجة المباراة هى التعادل أى واحداً إلى واحد حتى يمكنهم حل المشكلة المستعصية بل، إنهم لا يريدون أن يتفوق[1] الجيش المصرى فعندما تفوق الجيش المصرى قاموا بعمل الثغرة وذلك بإعطاء إسرائيل المعلومات والإمدادات والأسلحة والمعدات التعويضية بل

---

(١) أى يفوق.

لقد وضعت الولايات المتحدة جميع إمكانياتها لدى إسرائيل وبمعنى آخر **فعندما أحرزت مصر هدفا قامت الولايات المتحدة بحساب ضربة جزاء ظلماً لحساب إسرائيل ألا وهى (الثغرة) بغرض تحقيق هدف التعادل ولكن والحمد لله أنّ رئيسنا ذلك الثعلب أنور السادات يعرف أصول اللعبة...**

واستكمل قائلاً وكما قلت لك فالتاريخ يعيد نفسه فقد أنشأ محمد على باشا جيشاً مصرياً عظيماً فى أوائل القرن التاسع عشر، أمكن لهذا الجيش فتح بلاد الشام والسودان والأراضى الحجازية وتقدم ليهزم الأمبراطورية العثمانية فى عقر دارها فى معركتين عظيمتين وهناك كان التفوق للجيش المصرى ساحقاً فماذا حدث؟ لقد قام الغرب (إنجلترا وفرنسا وإيطاليا واليونان... إلخ) بتجميع أساطيلهم وضرب الأسطول المصرى فى ميناء نافارون وذلك لوقف إمداد الأسلحة والذخيرة والتموين للجيش المصرى!! لقد كانت تلك هى الثغرة فى ذلك الوقت والنتيجة يجب أن تكون واحداً إلى واحد مما أضطر محمد على باشا لعقد معاهدة

صلح نال فيها بعض المكاسب المحدودة! يا بنى تذكر أن الغرب لن يترك مصر تحقق نصراً ساحقاً أبداً خاصة وأن إسرائيل يعتبرونها هم جزءاً من الحضارة الغربية إن لم تكن جزءاً من الولايات المتحدة نفسها... نزل عصمت وهو يفكر فى كلام أبيه أيعقل أن يكون هذا الكلام...!!!!

أستمع عصمت فى داخل معسكر التجميع إلى قصص البطولة التى تحققت بمعرفة الضباط والصف والجنود والتى قد تصل إلى حد الأساطير فأصبح ما بين مصدق ومكذب وكانت من أهم القصص التى جذبت أنتباهه قصة الملازم مختار الهادى ذلك الضابط الشجاع سليل فلاحى المنوفية والذى قص جنوده الذين قاتلوا معه قصة بطولته بالفخر والأعتزاز حيث تمكن بمفرده وبدبابة واحدة من تدمير ٦ دبابات إسرائيلية كانت من أحدث طراز كما أنه قد أجبر سرية دبابات إسرائيلية مكونة من ١١ دبابة على الأرتداد والفرار من أمامه وكانت هناك فرصة للتأكد من صحة هذه

الرواية عندما قابل عصمت ذلك الضابط فى الصباح فى ميس[1] الضابط فسأله عصمت قائلاً حضرة الملازم مختار لقد سمعت أنك دمرت ست دبابات بمفردك أهذا صحيح؟.

فأجابه مختار نعم يا أفندم ولكن بالصدفة... ثم أسترد نفسه بتواضع قائلاً إننى بطل رغم أنفى... فضحك عصمت... كيف فقُصّ علينا قصتك! فقد شوقتنى لسماعها... قال مختار لقد كنت ضمن سرية دبابات تقاتل فى منطقة الثغرة جنوب الاسماعيلية، وكان عدد دبابات السرية فى ذلك الوقت ست دبابات **حيث تقدم فى أُتجاهنا ١١ دبابة إسرائيلية معززة بالعربات المدرعة فأشتبكنا معها على مسافة حوالى ثلاثة كيلو مترات وفجأة لاحظ قائد السرية أُقتراب ٣ طائرات هليكوبتر إسرائيلية محملة بالصواريخ الموجهة التى تستخدم فى الرمى على الدبابات وبدأت فى الألتفاف من جهة الجانب الأيسر للسرية.**

فأتخذ قائد السرية قراراً بالإرتداد للخلف لمسافة كيلو

(١) هو مكان طعام الضباط بالجيش.

مترين أثنين للدخول فى منطقة دفاعية لكتيبة مشاة مصرية كانت تدافع فى أرض جيدة وحتى يمكن لهذه الكتيبة حماية دباباتنا بنيران رشاشاتها وأسلحتها من هليكوبترات للعدو وهنا أنسحبت جميع دباباتنا إلى المنطقة الدفاعية للكتيبة المشاة عدا دبابتى فلم أسمع الأمر لأنشغالى فى قتال العدو وكذلك بسبب عدم أهتمامى بسماع إشارات اللاسلكى. . . وفجأة سمعت صوتاً رهيباً بجانب دبابتى فأخرجت رأسى من فتحة القائد لمعرفة سبب هذا الإنفجار لقد ميزت أنفجار صاروخ موجه (١١ SS) قد أنطلق من إحدى الطائرات الهليكوبتر بل ميزت[١] **جميع الطائرات الهليكوبتر الثلاث التى أخذت تقذفنى بصواريخها الموجهة ولكن عناية الله فاقت كل عناية فقد كانت هذه الصواريخ اللعينة متصلة بسلك يقوم بتوجيهها فى الإتجاه والإرتفاع ولكن هذا السلك كان ينقطع بسبب أصطدامه بجريد النخيل[٢]** من

---

(١) المراد تبينتها بوضوح.

(٢) كانت دبابة النقيب مختار فى منطقة زراعية وتحيط بدباباته أشجار النخيل من كل جانب. المؤلف

كل جانب وهكذا أطلقوا على دبابتى أكثر من ٦ صواريخ ولم يحققوا أى إصابة مباشرة ثم إن ما قد زاد الأمر خطورة هو أن الإحدى عشرة دبابة قد بدأت تشن هجوماً خاطفاً عليَّ من الحركة وأخذوا فى الأقتراب بسرعة عالية وحينئذ فكرت فى الأرتداد إلى مكان سريتى التى عرفت مكانها وأعطيت الأمر للسائق بالرجوع للخلف ثم بالأرتداد وبدأت فى الأرتداد ولكنى كنت أتحرك مستغلاً غبار دبابتى حتى لا يستطيع العدو رؤية أنسحابى وساعد على ذلك أتجاه الريح إلاَّ أن السائق لم يستطع تمييز حفرة كبيرة عميقة أمامه فسقطت الدبابة بها وتوقف المحرك وعندما أدرت المحرك مرة أخرى لإخراج الدبابة من الحفرة لم نفلح! لقد كانت دبابتى تحتاج لدبابة أُخرى لجذبها من الحفرة... **لقد كان الموقف فى منتهى الخطورة فدبابتى قد فقدت حريتها وهناك إحدى عشرة دبابة أخرى تهاجمنى فأصبحت على مسافة**

١٥٠٠ متر أو أقل تطلق القذائف نحوى وأصدُقك القول لقد فكرت بصراحة فى أول الأمر أن أهرب أنا وأفراد الطاقم ولكننا أيقنا أننا سنموت لا مُحالة من القذائف الكثيرة التى كانت تصوت من حولنا وأخيراً قررنا أن نقاتل حتى الموت فلنكلفهم غالياً قبل موتنا وناديت المعمِّر لتعمير المدافع وطلبت من الرامى تمييز أى دبابة للعدو فأجابنى بأنه قد ميز إحدى الدبابات ولكن تلسكوبه يميل فأمرته بمراعاة ميل التلسكوب وقلت صائحاً ألم أعلمك هذا (وكان ميل التلسكوب ميلا طبيعياً ناتجا عن ميل الدبابة الحادّ فى داخل الحفرة) وأطلقت أول قذيفة فأصابت الدبابة الإسرائيلية مباشرة فصاح الطاقم بالكامل ألله أكبرُ! الله أكبرُ! فزجرتهم بالأستمرار فى التعمير والأشتباك ثم أطلقنا الطلقة الثانية بعد حوالى ثلاثين ثانية فدمرت دبابة أخرى فأرتفعت معنوياتنا للسماء وزال أى خوف من داخلنالقد كان همنا

هو إصابة أكبر عدد من دبابات العدو... وما مر ما يقرب من ثلاث إلى خمس دقائق إلا وقد نجحنا فى تدمير ست من دبابات العدو من إجمالى ١١ دبابة وقد ساعد على ذلك قصر المسافة وغرور العدو الذى أخذ يشتبك معنا من الحركة بإستهتار ظناً منه أنه يمكنه إصابتنا بإحدى دباباته علاوة على عناية الله بنا فالحفرة التى وقعنا بها كانت قد حمت جسم الدبابة تماماً فلم يظهر للعدو من دبابتى سوى جزء يسير من البرج ومدفع الدبابة ولم أكتشف ذلك إلا بعد إنتهاء المعركة وفحص أرض المعركة. . **أما العدو فعندما فقدوا ست دبابات فقد قاموا بعمل ستارة دخان كثيفة وأنسحبوا من أمامى وسط ذهولى أنا والطاقم... وكانت الطائرات الهليكوبتر قد أنسحب قبل الدبابات عندما وجدت صعوبة فى إصابتى علاوة على أرتباطها بمدة طيران...** لقد ظللت مذهولاً بعد المعركة مما حدث غير

مصدق لنتيجتها حتى وقفت على مجيء دبابتين من فصيلتى قد أرسلهما قائد سريتى ليخرجنى من تلك الحفرة، بعد أن شاهد تلك المعركة العجيبة، **وكانت أعظم مكافأة لى هي أننى عند رجوعى بالدبابة لمكان سريتى وللكتيبة المشاة أن أخرج جميع المقاتلين ليحيونى بالصياح ألله أكبر... ألله أكبر بل إن أحد الجنود المقاتلين قام بالزغردة فأمرت الطاقم بالخروج إلى فتحات الدبابة لتحية المقاتلين ونظرت إلى وجوهم بفخر فوجدت الدموع فى أعينهم...**

إبتسم عصمت قائلاً إننى أعرف هذه اللحظات الممتزجة من الخوف والرجاء... والشجاعة والفخر... تلك اللحظات التى مررت بها يا مختار ولكنك فى الحقيقة بطل حقيقى ولست بطلاً رغم أنفك كما زعمت! إنك تمثل مصر كلها والتى قاتلت بإمكانيات محدودة وفى ظل ظروف صعبة ولكنها أنجزت الكثير!... وسيأتى جيل من بعدنا

وسيُقَيِّم ماذا كان فى أيدينا وماذا كان فى أيدى العدو. .

أرجو من الله أن أراك مرة أخرى فى ميدان الشرف وأرجو من الله أن تقاتل إلى جوارى.





الفصل الثامن

تصافح الضباط الثلاثة متمنين لبعضهم التوفيق... فقد انتهوا منذ قليل من آخر أعمال تجهيز الدبابات للقتال وطبقاً للأوامر فقد كان عليهم الآن التحرك فى ثلاثة أرتال إلى أماكن متفرقة بالجبهة فى منطقة الثغرة... فركب عصمت دبابته وأعطى الأوامر بالصفارة وبالبيارق للإستعداد للتحرك... **وتحركت الدبابات خلف عصمت وأخذ عصمت يفكر فى أمر النقيب عصام ذلك النقيب الذى كان قد أصيب فى صدره بشظية ولازال جرحهُ تحت الإلتئام وبالرغم من ذلك فقد رفض استمرار علاجه بالمستشفى** مدعياً أن جرحه صغير بل إنه ـ فى الواقع ـ قد هرب منها ورفض إطاعة أى أوامر سوى التوجه مرة أخرى إلى

الجبهة... **فما هو موقفه داخل الدبابة وموقفه حيال الأهتزازات العنيفة التى سيتعرض لها والتى قد تصيبه فى جرحه فيستمر النزف**... إن الروح المعنوية العالية تصنع المعجزات فقد استمر عصمت فى التحرك للأمام... وأخذ الليل يرخى سدوله على الطريق وهنا أصدر عصمت أوامره بالتوقف وتجهيز الدبابات للتحرك ليلاً... ثم عاود التحرك مرة أخرى واستغرق تحركه حوالى ٦ ساعات متواصلة تخلل ذلك بعض فترات راحة قصيرة... وأخيراً ميز علامة أرضية معروفة له من قبل فعرف أنه على مسافة قصيرة من وحدته الجديدة فأمر دباباته بالتوقف وتنظيم الحراسة والدفاع عن الدبابات وأخذ راحة ساعتين من الوقت حتى يظهر أول ضوء وحتى ينضم هو وجنوده إلى وحدته الجديدة فى الصباح الباكر وهم بحالة جيدة. وأستغرق عصمت فى النوم ولكن ـ من تأثير التعب والإرهاق ـ فقد استلمته الكوابيس... حتى فوجىء بمن

يحاول إيقاظه بشدة وأستيقظ وهو بين النائم واليقظان لقد وجد نفسه وهو راقدٌ ووجد أحد الأشخاص يتكلم بحنق وغيظ وهو يأمره بأن يجمع جنوده ويتحرك فوراً إلى مكان وحدته الجديدة وإن كان عصمت قد شاهد هذا الشخص يضع كتافة[1] الضباط على كتفيه إلا أنه أحس بالغضب الشديد والحنق نتيجة الإرهاق والكوابيس فصاح قائلاً اذهب من هنا حالاً وإلا فسأقوم بتكسير عظامك. . . واستمر في النوم وهو لا يدري ما إذا كان ذلك حقيقة أم حلماً. في الصباح جمع عصمت دباباته وشكّلهم في رتل وتحرك إلى وحدته الجديدة وعرف مكان كتيبته الجديدة وتحرك إلى مركز قيادتها ثم سأل عن ملجأ القائد ثم هبط داخلاً إليه. . . فوجد مقدماً جالساً إلى مكتبه الميداني وكان وجهه مطرقا لأسفل وقد وضع يده على جبهته فلم يستطع عصمت رؤية وجهه وعند أنتهاء المكالمة بادر عصمت مقدماً

(١) هي المعروفة بالاسبلايط. .e'paulette.

نفسه قال النقيب عصمت يا أفندم قادم ومعى. . . دبابات للإنضمام إليكم. . . فرفع المقدم وجهه قائلاً: نعم! إننى أعرفك جيداً. . . لقد كان هو نفسه ذلك الشخص الذى هدده عصمت بالذهاب أو بتكسير عظامه!!!

* * * * * *

أخذ قائد الكتيبة يفكر ناظراً إلى عصمت أية لعنة قد نزلت عليه هذا اليوم بمجىء هذا النقيب المنحلِّ عديم الانضباط. . . إنه لو خدم معه بالكتيبة لأشاع الفوضى وضعف الأنضباط. . . **الحمد لله أنه يوجد حَلٌّ ... فمنذ قليل اتصل به قائد اللواء وأخبره أن هناك كتيبة مظلات تحتاج إلى دعم بفصيلة دبابات إن الحل الأمثل هو أن يرسل هذا الضابط المشاغب إلى تلك الكتيبة... لعله يتعلم** شيئاً. . . وأخيراً قال القائد لعصمت أذهب إلى رئيس

عمليات الكتيبة وسجل بياناتك وبيانات جنودك ودباباتك ثم قابلنى بعد ساعتين هنا لأعطيك مهمتك الجديدة.

* * * * * *

تحرك عصمت للموقع الذى عُيِّن له، ولكنه وجد قبل أن يصل لموقعه الجديد بقليل نيران مدفعية تصب عليه... إذن فالاسرائيليون كانوا فى أستقباله... فأمر أطقم دباباته بالآستمرار فى التقدم مع زيادة السرعة وزيادة الفواصل بين الدبابات وإقفال الفتحات وأخذ يواصل التقدم لموقعه ولكنه قد تعجب لأنّ الجبهة هادئة مع سريان وقف الإطلاق للنيران منذ أيام ولكن منطقته هى الوحيدة التى بها أُشتباك إلاّ أنه سريعاً ما عرف السبب عندما آتصل بقائد كتيبة المظلات الذى سيقاتل معه. . . لقد أخبره أن هذا الموقع كان قد أخذ من الإسرائيليين فى الليلة الماضية فقط وبدون قتال،

فعادة الإسرائيليين أنهم يخافون على أطقم دباباتهم ليلاً فيقومون بتجميعها فى منطقة خلف خط دفاعهم بمسافة من أثنين إلى ثلاثة كيلو مترات ثم مع أول ضوء - يتم دفع أطقم الدبابات وبعض عناصر من المشاة لإحتلال الخط الأول لدفعهم. وقد أستغل هذا الأمر قائد كتيبة المظلات حيث قام بالإستيلاء على الموقع ليلاً وبدون أوامر قيادته... وهذا ما قد جعل العدو يزداد غضباً خاصة عند رؤيته لثلاث دبابات جديدة قد أنضمت للموقع... **فقال عصمت مشجعاً لنفسه: مرحباً أيتها الأرض الساخنة ها أنا قد جئت وأرجو من الله أن أجد كثيراً من النشاط هنا... وهاإننى فى مكانى الصحيح...**

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

أخذت الأيام تمر ثقيلة على عصمت فقد كان يظن أنه سيشتبك مع العدو بصفة مستمرة! صحيح أنه كان هناك

تراشق بالنيران مع العدو من حين لآخر وبالرغم من وقف إطلاق النيران. . . ولكن فى كل مرة كان لا يسمح بأستخدام نيران الدبابات. . . **لقد أحس عصمت وطاقمه بأنهم فى بطالة مقنّعة... وكانت الأيام تمر فى الموقع بالكاد، وئيدة متباطئة خاصة وأنهم يعيشون فى حفر بجانب دباباتهم وغير مسموح بأية إضاءة وكانت أية حركة أو صوت مفاجىء كفيلاً بإزعاج الجميع ووضعهم تحت السلاح...** فالعدو على بعد أمتار منهم وبالرغم من هذا فإن بعض الحوادث والأيام التى مرت عليهم كانت طريفة. . .

ففى مساء أحد الأيام قبض جنود الموقع على متسلل قادم من أتجاه العدو لقد كان جندياً مصرياً فى حالة معنوية عالية لقد جاء حاملاً ٣ أجهزة تسجيل فاخرة وراديو على جنبيه علاوة على سلاحه وبدأ عصمت فى أستجوابه قائلاً: ما مهنتك؟ فأجابه: جندى شئون إدارية، كنت أعمل كجندى حراسة لمؤخرة إحدى الوحدات التى عبرت ثم دخل العدو

فى منطقة الثغرة فأصبحت أعيش بينهم لمدة ثلاثة شهور دون أن يعلموا بى . . ! فسأله عصمت وكيف كان ذلك؟

فأجابه لقد كنت أختبىء بالنهار أما بالليل فقد كنت أسرق طعام الجنود الإسرائيليين لأعيش .

فسأله عصمت مستوضحاً كيف؟ إشرحْ لى!

فرد قائلاً إن الجنود الإسرائيليين شديدو الجبن يا أفندم لقد كانوا يتركون أسلحتهم الثقيلة ودباباتهم فى المواقع الأمامية فى الليل ويرجعون ليتجمعوا فى الخلف فى ملاجىء آمنة ويعينونَ حراسةً كثيفة عليها وكنت أستغل هذا فى البحث فى مهماتهم عن أطعمة ومياه وسرعان ما كنت أجدها... بل إننى كثيراً ما وجدت بعضاً من رشاشاتهم وبنادقهم بدون حراسة فكنت أفكها وأسرق بعض أجزاء منها ثم أدفنها فى الأرض حتى لا تستخدم هذه الأسلحة ضدى أو ضد غيرى وأخذت أتحرك هنا

وهناك فى منطقة الثغرة خاصة بالليل حتى عرفت مكان وجود القوات المصرية وها أنا قد جئت اليكم. . . **فسأله عصمت وما هى قصة الأجهزة التى معك... فأجابه إنها تخص الإسرائيليين لقد سرقتها منهم... ليلاً كما قلت لك...**

فسأله عصمت سؤالاً أخيراً : فما هى مهنتك إذن؟

فأجابه أنا واد مخربش من بولاق الدكرور فضحك عصمت فى نفسه وقال حتى اللصوص قد قاتلوا من أجل مصر. . .

وأستطرد قائلاً سلم أجهزة التسجيل والراديو إلى فصائل رجال المظلات فإنك سوف تساعد على رفع معنوياتهم أما أنت فأتجه إلى مركز تجمّع الشاردين وأبلغه عصمت بمكانه. . . فشكره الجندى وواصل التحرك.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

حدث آنفجار مروع فجأة فى داخل موقع الدبابات ثم تلته أنفجارات أخرى! لقد أحس عصمت بالقلق الشديد خاصة من الإنفجار الأول لأنه كان على بعد أمتار منه لقد أحس به فى داخل ملجئه حيث آرتج به آرتجاجاً شديداً كالزلزال وظهر الغبار الناتج عن آهتزاز الملجأ... لقد أحس بإحساس قابض أى بأن أيا من الجنود سيكون خارج ملجئه فى هذا الوقت فإنه سوف يُسْتَشْهَدَ لا محالة... لقد كان يريد أن يطمئن سريعاً على ما حدث ولكنه يجب أن ينتظر نهاية القصف إنه قصف كتيبة مدفعية إسرائيلية ذات عيار كبير وكان مركزاً على موقعه... وأخيراً سكن القصف فخرج سريعاً من ملجئه مستطلعاً الخسائر... ويالهول ما وجد! لقد كانت هناك دماء متناثرة وأشلاء آدمية مبعثرة لأربعة أشخاص... إنهم الطاقم رقم ٢ من دباباته لقد كانوا فيما يبدو يجلسون حول نار صغيرة قد أوقدوها ليشربوا الشاى... وكان الوقت ظهْراً.

لقد أحس عصمت بالألم والضيق الشديدين فقائد هذه الدبابة الرقيب محمد قد عمل معه أربعة أعوام وله ستة من الأولاد وكان من المفروض عند إعادة تنظيمهم بالقاهرة أنه سيعمل بسرية دبابات غير سرية دبابات عصمت ولكنه أصر وطلب نقله ليعمل مع عصمت لقد طلب نقله ليلقى حتفه... أما الجنود الآخرون فهم مستجدون صغار السن لم يروا من الدنيا شيئاً... يا للمأساة... أخذ عصمت يعدو من حول جثث الأبطال لبضع دقائق ثم أمر جنوده بوضع الجثث وأشلائها فى البطاطين ثم ذهب مباشرة إلى التليفون الميدانى، واتصل بقائده، وأبلغه عن أستشهاد طاقمه.. وطلب الأمر بالرد الفورى ولكن قائده أمره بالالتزام بوقف اطلاق النار فصاح عصمت قائلا: هذا كلام غير معقول! وإنه يجب تلقين العدو درساً جيداً فصاح فيه قائده: قلت لك لا تفتح

النيران وإلا ستحاكم وأقْفَلَ[1] هو الخط. . .

لقد كانت دماء الثأر الصعيدية تغلى فى عروقه لهذا الوضع وكان الإحباط قد تمكن منه وخاصة عندما تذكر قول أبيه بأن الولايات المتحدة لن تسمح بتصفية الثغرة... بالقوة...

لقد كان التفكير السائد لعصمت فى الفترة التالية لهذا الحدث أنه كيف يرفع من الروح المعنوية لجنوده حيث أن الطريقة الوحيدة الصحيحة لرفع الروح المعنوية هى أن يقاتلوا ويحدثوا خسائر جسيمة بالعدو. . . وهذا هو ما لم يستطع تحقيقه حتى الآن. . . وأخيراً أتخذ قراراً بأن عليه أن يرسل أحد جنوده للمدينة القريبة لإحضار صينية بسبوسة ليدبّر حفلة صغيرة لرفع المعنويات. . . وماذا يستطيع أن يفعل أكثر من هذا. . . فى مثل هذه الظروف

---

(١) فلا تقل قفل.. وقل أقفل.. وقل قفل راجعا فأقفل مثل أغلق (رباعى).. المصحح

وأرسل الجندى... وأحضر صينية البسبوسة ولكنها لم تصل لعصمت وجنوده فقد شاهد الجندىَّ أحدُ ضباط عمليات اللواء وأستولى عليها كغنيمة حرب قاصداً بذلك الفكاهة مع عصمت الذى سبق أن خدم معه ويعرف أنه يعشق المرح... ولكنه لم يعرف أيّة حالة معنوية يمر بها الآن...

ورن التليفون الميدانى وسأل ذلك الضابط عن عصمت فأجابه عصمت بأنه هو ذاته وسأله عن أسماء الشهداء رباعياً وأرقامهم العسكرية فزمجر عصمت فى غضب وقد أحس أن الضابط يلاعبه فى وقت غير مناسب قائلاً إنه لن يعطيه أسماءً ولا جثثاً حتى تأتى صينيتهُ الضائعة... ثم قطع الإتصال فجأة... وقد كان من عجائب الصدف أن أستمع لهذه المكالمة العجيبة قائد الغرفة فقد كانت عادته دائماً أن يتنصت[1] على تليفونات المواقع الأمامية لمعرفة

(١) الإنصات هو التسمّع والاصغاء للاستبيان.. معجم مرشد الأريب.

مشاكلهم أولاً بأول وسأل عن حكاية صينية البسبوسة...
والشهداء الأربعة. . . والنقيب عصمت. . . وعرف فى النهاية أن هناك نمراً جريحاً ذا قلب من حديد ولكن قد أصبح الآن مصاباً بالإحباط ويتحين الفرصة للإنتقام.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

ومرت الأيام ورن التليفون الميدانى بملجأ عصمت وعندما رفع عصمت سماعته سمع صوتاً يسأله هل أنت ضابط المدرعات بهذا الموقع. . .فأجابهْ عصمت. . . نعم. . .

فرد السائل أنا العميد... قائد الغرفة... فأجابه عصمت نعم يا أفندم أية أوامر[1]. فرد قائد الغرفة قائلاً بإختصار شديد: عندما تكون جاهزاً اشتبك أفهمْتَ... فأجابه عصمت مكرراً القول نعم يا أفندم عندما أكون جاهزاً

(١) (وفى الحقيقة فإن عصمت لم ير قائد فرقتها فقد إنضم إليه فى وقت الحرب)

أشتبك فرد قائلاً مع السلامة وأغلق التليفون...

ووضع عصمت سماعة التليفون مندهشاً وقد أمتلأت نفسه بالسرور والفخر لقد أخذ شيكاً على بياض للإشتباك وترك له حرية أختيار توقيت الاشتباك والمكان! ياله من قائد للفرقة شجاع وجرىءلقد تأكد أن ما سمعه عنه صحيح...

لم يتسرع فى توجيه ضربته فمرحلة التخطيط يجب أن تتم بدقة ويجب أن يتم عمل حساب كامل لكل عامل هام حتى لا يترك شيئاً للظروف أما مرحلة التنفيذ الفعلى فيجب أن تكون سريعة ودقيقة حتى تقل الخسائر أو تنعدم لقد كان عدوه يعلم بدقة أماكن دباباته ومن أين يمكنه إطلاق نيرانه والأسلوب المتوقع لقتاله...

ومن هنا فقد خطط لتحقيق المفاجأة وتغيير أسلوب القتال فالمفاجأة يمكن تحقيقها حيث أنه لم يشترك فى قتال فعلى منذ ثلاثة شهور لقد كانت دباباته خاملة لا تشترك فى

أى قتال وسيحقق المفاجأة أيضاً بأنه لن يقاتل من تلك الأرض التى تمر بها مرابض الدبابات بل إنه سيفاجئهم من أرض جديدة لا يتوقعون القتال منها... وسيفاجئهم أيضاً بأسلوب قتال جديد سيقذفهم بالنيران ثم يختفى سريعاً ليعمر أسلحة دباباته خلف التباب ثم إنه سينتقل لمكان آخر ليعيد الكرة. . . لقد درس الأرض جيداً. . . وفكر كثيراً فى المهارات والخداع! تلك الملكات التى سيستخدمها وفقاً لخبرته القتالية المتنوعة ووضع إخراجاً رائعاً للمعركة المقبلة وبدأ العد التنازلى لمعركته. . .

* * * * * *

تحرك عصمت سيراً على الأقدام وخلفه دبابتان لقد تحرك ببطء شديد لإحداث أقل صوتَ لمحركيهما إنه يريد إخفاء الأصوات وكذا حركة الجنازير التى تثير الأتربة، لذا فقد تحرك ببطء... ورويداً رويداً؛ وتعمد بالإتفاق مع رجال

المظلات على التحرك تحت صوت إدارة محركات العربات الخاصة برجال المظلات لايهام العدو بأن إدارة العربات إنما كانت بغرض الصيانة وأخذ يتقدم بتأن وحذر شديدين فى أرض منخفضة فلا يستطيع العدو رؤيته حتى وصل للمكان المنشود حيث أخفى الدبابتين... ثم زحف لأعلى التبة القريبة التى كانت أمامه ليعرف الوضع النهائى للعدو الذى سيتعامل معه... كل شىء تمام! حسب الخطة... ثم نزع طبنجة الإشارة من جنبه وركب فيها طلقة الإشارة الحمراء وأطلقها معلناً عن بدء المعركة...

إستقبل الإشارة قائدُ الدبابة الذى ظل فى منطقة مرَابضِ الدبابات ـ إن عليه ـ حسب التوجيهات ـ أن يقوم بالإشتباك أولاً ليس بغرض إصابة العدو أساساً بل بغرض جذب نيران العدو وآهتمامه إلى اتجاهه هو[١]. . . إن عليه

(١) أى لا تجاه كعملية استدراج ذكية. . ليصرفه عن غرضه.

أيضاً أن يغير مكانه من مربضه إلى مرابض الدبابتين الأُخريين ليوهم العدو بأن جميع دبابات الفصيلة الثلاث تقبع فى هذه المنطقة. . . كما كان عليه أيضاً أن لا يظهر للعدو أكثر من عشر ثوان عند آشتباكه فى كل مرة حتى لا يعطى العدو الفرصة لإصابته بتلك الصواريخ الموجهه خاصة وأنه يعلم موقعه بدقه. . .

"اندفع عصمت بالدبابتين الأخريين للأماكن التى آختارها لفتح النيران لقد كان هناك بلدوزر إسرائيلى يعمل فى حماية دبابة فدمرهما بسهولة وأخذ يبحث عن باقى الأهداف الأخرى لقد فر العدو سريعاً إلى داخل ملاجئه تاركاً معداته خلفه وأخذ عصمت يتسلى بالرمى على تلك المعدات والمهمات فها هى صناديق الذخيرة المشوَّنة والمشحونة على سطح الأرض قد نسفها تماماً وها هى عربة جيب كانت قد تركت مفتوحة الباب هى الأخرى قد دمرت

تماماً... لقد كان من المفروض على عصمت أن يقوم بالرمى بالدبابات من خلف ساتر أى أن يقوم بالرمى ثم الإختباء لتعمير أسلحة الدبابة ولكنْ أمامَ المقاومة السلبية وأمام التغطية الجيدة من النقيب محمود قائد سرية الهاون الذى ظن عصمت أنه قام بفتح نيران هاوناته. . . بأعلى معدل كما آتفق معه لحمايته فقد قرر أن يخالف خطته الحَذِرة وأن يقف شامخاً بأعلى فتحة القائد بالدبابة ليستغل كل الوقت... فى تدمير العدو وأخيراً لم يجد شيئاً على سطح الأرض ليدمرهُ سوى علم إسرائيل المرفوع بتحدٍ فقام برميه بدبابته فحطمّه تماماً.. وأخيراً سكنت المنطقة ودخلت فى هدوء عظيم. . . وهنا صاح عصمت بأعلى صوته «أيها الكلاب. . . سأذيقكم الموت أينما كنتم! وستكون الثغرة مقبرتكم. . .» وأمر دباباته بالرجوع لمواقعها. . . وكان الشىء الغريب الذى آكتشفه عند رجوعه هو أن قائد سرية

الهاون لم يشتبك مع العدو نظراً لإصابة ذخيرته التى وضعها على سطح الأرض بجانب حفر المواقع لآستخدامها وأخذت تنفجر الواحدة تلو الأخرى فظن عصمت أن الحماية والتغطية قد قدمت وأن عليه ألا يخشى شيئاً. . .
وكان الأمر الأغرب من هذا و الذى كان قد أحس به عصمت على المدى الطويل هو أن العدو الذى كان أمامه لم يحاول الإشتباك معه مطلقاً بعد هذه الموقعة. . . لقد تجنب عصمت تماماً وآحترمه حتى أنسحب من الثغرة.

* * * * * *

ومرت الأيام وفتحت النيران من البنادق والرشاشات والمسدسات لأعلى إلى عنان السماء... لقد فتحت النيران بمعرفة الإسرائيليين ليس للأشتباك هذه المرة بل للتعبير عن الفرح والغبطة... لقد تم توقيع آتفاق بإنسحاب جيش

الدفاع الإسرائيلى من الثغرة؛ من مصيدة الموت وسيتلو هذا الإتفاق إتفاقٌ آخر... وأخيراً فإنهم سيتركون كل شبر من الأرض شبراً شبراً حتى يتجنبوا القتال مرة أخرى مع هذا الجيش العظيم ذى المجد التليد الخالد ذلك الجيش الذى اتصف وبحق عبر الأجيال بقدرته الفائقة على التحمل والجلد، وإنّ قاعدة إيمانه لعميقة الجذور. . . ولقد بنيت على حب العدل والسلام. . . وليس على البغى والعدوان. . .

✿✿✿✿✿



أما وقد قرأت هذه القصة أيها القارىء الكريم فلكل قصة نهاية وللأشخاص نهاية... ولنراجع النهاية... وكم من نهاية مشرفة تكون بداية عهد جديد متطور

فأما عن نهاية قائد اللواء أو قائد مجموعات القتال التى حاولت أن تقفل الثغرة فقد تقاعد بعد أن خدم برتبة اللواء ولكنه لم يتعرض لأى تكريم ولم يحظ بغير تكريم القلب من قبل ضباطه وجنودِهِ المقاتلين الذين يعلمون أنه مقاتل من الطراز الأول ولكنه لم يحقق مهمته الأخيرة...

وأما عن قائد كتيبة عصمت، المقدم المهدى فقد آستشهد فى ميدان المعركة مهاجماً ونال النجمة العسكرية...

وأما عن قائد كتيبة الإبرار التى شاركها عصمت فى الهجوم. وقد حرر نقطة كبريت فقد نال نجمة الشرف العسكرية لتماسكه العتيد وشجاعته ودفاعه المستميت عن نقطة كبريت بعد حصار العدّو له.

أما عن قائد سرية عصمت الرائد أبى العلا الذى شارك فى معارك متعددة آنتهت بإصابته فى كبريت فقد نال نوط الشجاعة ويعمل الآن كموظف كبير فى القطاع الخاص.

وعن الجندى السائق الذى فقد رجليه من تأثير آنفجار الدبابة فقد عاش وركَّب أطرافاً صناعية ومارس حياته العادية كموظف وشكر عصمت على إنقاذه لحياته فى خطاب بليغ بعد إنتهاء الحرب بتسعة أعوام معتذراً عن تأخيره فى إرسال الخطاب بسبب عدم معرفته للعنوان...

وأما عن الملازم أول الشهيد خالد علام الذى كان أحد أسود الحرب حيث إنه اشترك فى هجوم شجاع فى منطقة ما فى عمق سيناء... ثم قام بالهجوم مرة أخرى فى منطقة النقطة الحصينة بكبريت وحيث استشهد كما ذكر فقد حاول عمه الأتصال بعصمت وإقناعه بمساعدته فى إحضار جثته من المنطقة الحصينة... ليدفن فى مقابر الأسرة ولكن عصمت استطاع إقناعه بصعوبة ذلك للتكلفة الغالية.

علاوة على أن الشهيد يجب أن يدفن فى مكانه الذى شهد بطولته...

وعن ذلك الجندى البطل الجريح الذى وجده عصمت فى أرض المعركة فقد عاش...

وعن ذلك **الملازم مختار الهادى** الذى زعم أنه بطل رغم أنفه فقد نال نوط الشجاعة من الطبقة الأولى وهو يخدم الآن كموظف كبير بالرقابة الإدارية...

أما عن عصمت نفسه فقد نال نوط الشجاعة من الطبقة الأولى وتقاعد برتبة عميد بعد سنتين كخدمة بهذه الرتبة عن ستة وأربعين عاما وذلك فى عام ١٩٩٦ .

ولازالت حتى الآن تحدث له طرائف بسبب الحرب ومنها أنه دخل مع عدد كبير من أقربائه لأحد المطاعم بالإسكندرية وعند دفعه للحساب،وقد وكان مبلغاً كبيراً، فرفض كبير العاملين أخذ الحساب وقال له إنها هدية من صاحب المحل فاندهش عصمت ولكن سرعان مازال اندهاشُه عندما فوجىء بأن صاحب المطعم هو جندى سابق كان قد قاتل معه... حيث اندفع فى اتجاه عصمت حاضناً إياه قائلاً كيف اخذ حساباً من بطل مثلك. . . تعلمت منه الكثير. . .

ومن حين لآخر يقابل بطلاً من الأبطال الذين قاتلوا معه ويتبادلان الحفاوة والترحاب فالحرب قد أوجدتهم من

جديد وخلقت بينهم علاقة أخوة جديدة. . . لا يفصلها إلا الموت. . .

ولكن من الغريب فى تصرفه أنه لا يتكلم إلا القليل عن الحرب وفى المناسبات عندما يضطر لذلك... وإن تكلم عنها فإنه يتكلم عن شىء كريه يكرهه ولكنه يختم كلامه دائماً بأن الحرب ضرورة فى بعض الأحيان وأنها شر لابد منه.

ومن الطرائف أيضاً أن عصمت كان قد أكتشف أن أحد جنوده ويدعى إسحاق له من العمر ١٤ عاما حيث أنه كان قد تم تجنيده بنوع من الخطأ اذ إن أباه كان قد رزق ابناً أسماه إسحاق ثم تُوفِّىَ ولم يقم بالإجراءات الرسمية عند وفاته ثم رزق آخَرَيْن وأعَادَ تسمية أحدهما إسحاق وعند وصول الأُستدعاء للأبن البكر الذى توفى تصرف الأب بحماقة فأرسل الأبن الصغير الذى يدعى إسحاق إلى

التجنيد ثم قامت الحرب ولم تحن الفرصة لإصلاح هذا الخطأ!!.

وأمام الأمر الواقع قام عصمت بالتركيز على تدريبه خاصة وأنه وجده رجلاً فى تصرفاته وقد وشارك فى القتال كمعمرٍ دبابة وبشجاعة كأفضل الرجال.

وحيث جرى العرف على أن يكون هناك تمازج كامل[١] وألفة بين أفراد أطقم الدبابات فقد جمع عصمت طاقما من أقباط صعيد مصر فى دبابة واحدة كان يطلق عليها الدبابة القبطية وكان من ضمنها إسحاق الذى خرج سالماً من الحرب[٢]. وكان عصمت يفتخر به دائماً ويناديه مرحاً... إبنى إسحاق وكان وكلما استقبل عصمت أطقما جديدة بوحدته فإنه يذكر دائماً ابنه إسحاق قائلاً فى النهاية: إن الرجولة ليست بالسن ولكن بالتصرف والحكمة.

---

(١) المراد من الامتزاج، هو تمام الارتباط والألفة.

(٢) وقد أستشهد فردان نتيجة القصف الجوى... وخرج اسحاق سالما..

ولازال زملاء عصمت من الضباط المتقاعدين يطلقون عليه حتى الآن «النقيب عصمت» متجاهلين أنه رقى إلى رتبة العميد وذلك نظراً للياقته البدنية العالية!.. ولحيويته المتدفقة... وتهريجه الدائم.!! لقد كان لكل من هؤلاء قصة وبطولة وقد تكون أروع وأعظم من قصة النقيب عصمت ولكنها لم تجد من يسطِّرُها فى سجل الأبطال... وفاء بحقهم وعرفانا بقدرهم...

❁❁❁❁❁



الفهرس

الموضوع	الصفحة